١٠٨٥
1085
HARLEQUIN
دار م. النحاس

كبير

وبنينا الحلم

كوني وايلدر

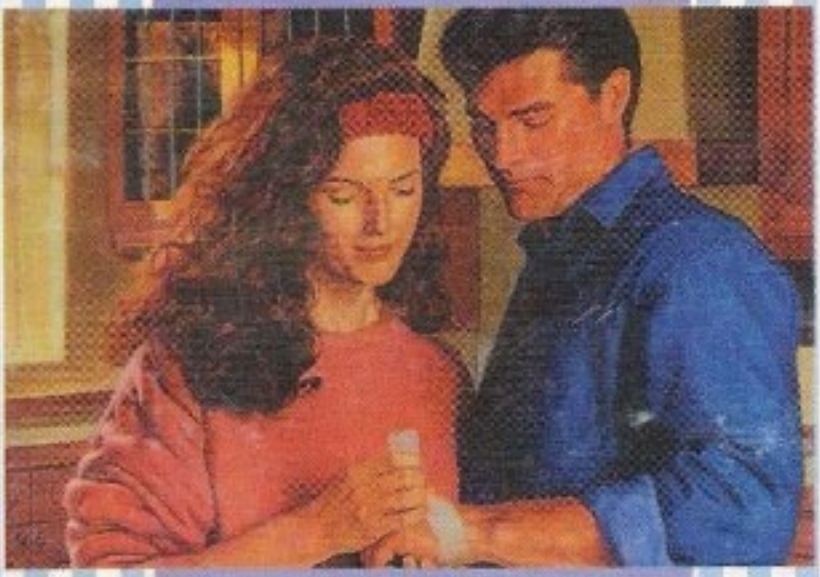

liilas.com
ليلاس

وبنينا الحلم

كوني وايلدر

ربما جاني صغيرة، ولكنها قاسية. كما انها صممت على الثأر من بلايز هاملتون الذي كانت مقتنعة بأنه كان سبب مرض والدها. فها هي، تقف في ورشة بناء وتتمتع بكل دقيقة هناك. كل ما كان عليها فعله هو ايجاد دليل ضده لتحطيمه. الصعوبة كانت، بأنها بدأت تعجب به كثيراً. ماذا ستفعل حيال ذلك؟

hamsaaat

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان ١ ريال.

«هل تهددينني؟»

سألها متنكراً. وقد شعر بأنه يريد ان يضحك لكنه فضل أن يسيطر على نفسه، رغم أن هذا الموقف ذكره بالفأر الذي يحاول مطاردة الاسد.

«ماذا ستخسر إن منحتني فرصة العمل؟»

احترام كل رجل في العمل، فكر بقلق. إمرأة في فريق بلايز هاملتون؟ غير ممكن، ولو بأي شكل من الأشكال!

hamasaaat

كوين وايلدر

خريجة كلية صحافة، ادعت أن تدريباتها حرمتها من شيء ما أحبته وأصبح عملها «عمل عادي قديم.» احيت مشاعرها بكتابة الروايات. كوين تحب التخييم، والسباحة في البحيرات الباردة في أيام الصيف الملتهبة. ركوب الخيل في البراري الواسعة، والتزلج. اتخذت لها منزلاً في وادي أوكاناغن ـ كولومبيا البريطاني ووجدته مكاناً هادئاً لولادة رواياتها وراحة رائعة لها ولعائلتها.

عبير ١٠٨٥

Abir 1085

وبنينا الحلم

كوين وايلدر

liilas.com

دار
م. النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

الفصل الأول

«سأقضي عليك حتى لو احطت نفسك بقافلة ذيلة تسد الشارع.»

خرجت جاني من سيارتها الفولز واغن الحمراء، أغلقت الباب بهدوء، ووضعت نظارات الشمس على عينيها وقبعة على رأسها، ثم استدارت إلى الناحية الثانية من سيارتها واتكأت عليها تراقب.

«تتوقع مني أن انتظر طوال الوقت بينما تلك العربة قابعة هناك تنسج عليها العناكب وأنت..»

كان رجلاً ضخماً، يرتدي بنطالاً من الجينز باهت اللون وقديم.

«انها المرة الثالثة، ولقد منحتك عدة فرص على غير عادتي.» تبع ذلك عاصفة من التوبيخ. كان يدعم كلامه بحركات سريعة من ذراعيه بينما الرجل قبالته كان اصغر حجماً ومظهره يدعو للشفقة.

كان بلايز هاملتون اسمر اللون، ورغم ان اشعة الشمس في ايلول (سبتمبر) اقل حرارة، كان يشعر بالحر الشديد بعد العمل الشاق والمضني، بالمطارق والمسامير والخشب، وقد كان هذا عمله منذ سنوات عديدة.

عيناه كاشعة الشمس الحارقة زرقاء اللون، تصدر الشرارات مع أية حركة بالمطرقة التي كان يحملها بيده الضخمة.

«إنك تهدر وقتي، أخرج من هنا.» وأشار بيده نحو الشارع واستدار ليتابع عمله، طارداً العامل الذي اخطأ بالتأخر وتسبب بتجمد الطين.

العامل المطرود من العمل مر أمامها مطأطأ الرأس، رفع نظره إليها بينما كان يمر بجانبها، عيناه ممتلأتان غضباً وذلاً، أسفت لحاله، وأعادت النظر إلى بلايز هاملتون، فأحست بموجة غضب عارمة، فحياة رجل آخر تحطمت على يديه أيضاً.

عادت تنظر اليه وبدا لها قاسياً اكثر من الظروف المحيطة، فأدركت عندها وبوضوح تام، مع من ستتعامل.

رفع يديه ودفع بهما شعره الأشقر الكثيف إلى الخلف، وقف دون حراك للحظات يتأمل المكان، فقالت في نفسها: انه قوي وعديم الصبر، مزيج خطير. حسناً، انها تعلم ذلك مسبقاً.

كانت في سن السادسة عشر حين رأته آخر مرة، مرت منذ ذلك الحين ثماني سنوات. تغيرت ملامح وجهه، عدا ذلك لم يتغير به شيء، يومها تغيرت حياتها كلها، أو بدأت بالتغير. بذور الخراب التي زرعها اينعت ثمارها في الأسبوعين الماضيين.

عضت على شفتها بحسرة، لا يمكنها التفكير بذلك الآن، عليها أن تكون قوية، وان لا تضعف. عليها أن تتساوى معه قوة لو ارادت الوصول للعدالة.

رجلان آخران كانا يعملان، احدهما ضخم الجثة، اما الثاني فكان اكبر سناً، قصير القامة ونحيل، ومع ذلك بدا

قوياً. الرجال الثلاثة قساة وفظين ورغم ذلك احست بالارتياح النفسي لوجودها هنا. لا يمكن لأي كان أن يدرك ما تحس به، وحتى جوناثان، بعد ايام قليلة سيرتفع هنا في هذا المكان بناء ضخم.

بلايز هاملتون مقاول بناء، للأبنية السكنية. البعض يقول انه الأفضل في هذا المجال، ولكن ولائها كان لشخص آخر، حيث ان والدها قام بأفضل عمل في هذه المهنة. فقد ترعرعت ونمت بين الورش المعمارية، تلعب بالتراب قرب الابنية قيد الانشاء عندما كانت طفلة، وبعدها تعلمت بالمراس كيف تقرأ الخرائط، والتخطيط للمنزل، تضع ارضيته، جدرانه، نوافذه وسقفه.

كان والدها يقول دائماً بأنها ولدت مقاولة، وكانت كذلك. إنها تشعر بالسعادة في هذه الأماكن.

حاولت ان تمتهن عملاً نسائياً يمكن ان يسعدها ايضاً.. فنالت إجازة في التعليم وحاولت ان تمتهنها، ولكنها سرعان ما كرهت هذا العمل، ليس بسبب التلاميذ، ولكن ان تسجن داخل غرفه طوال الوقت بينما الشمس تسطع في الخارج أو بينما المطر ينهمر بقوة، لذا فقد كان من المستحيل لها ان تستمر بهذا العمل، ولم تتحمل رتابة غرف التدريس. كانت تحب الحركة، تحب اليوم الذي يحمل لها تحديات اكثر.

حاولت بعدها ان تعمل في مكتبة، ولم تحب العمل ايضاً للأسباب نفسها، الرتابة والسكون. انها تحب الأصوات الصاخبة كالضرب بالمطرقة فوق المسامير.

بعد ذلك، عملت في عيادة اسنان، لقد كرهت هذا العمل

اكثر من أي عمل آخر. كان هادئاً جداً، مملا عديم الحركة، والأسواء من كل ذلك، وجود الكومبيوتر، لقد كرهته من اعماقها. لكن فيما يخص القلب، التقت هناك بجوناثان.

قطبت جبينها لمجرد التفكير بخطيبها، انه لن يكترث لقدومها إلى هنا اليوم، لعلمه بتدهور العلاقة بينها وبين عامل الكومبيوتر في المكتب.

كانت قد اتخذت قرارها منذ اسبوعين، إنها هنا لتثأر لشرف عائلتها، ان استطاعت، تريد أن تشوه سمعة بلايز هاملتون، بنفس الطريقة التي شوه بها سمعة والدها.

لم تكن تتوقع أن تشعر هكذا... بفرحة العودة، العودة إلى العمل الذي احبته سابقاً، إذ انها لم تكن سعيدة بعملها في عيادة طبيب الأسنان، ربما حين تنتهي من بلايز هاملتون، قد تبقى في ميدان البناء.

سيعتاد جوناثان على ذلك، ولكن اليس هذا ما يجب ان يكون بين حبيبين؟ ان يسعد الواحد منهما لسعادة الآخر؟ انها تعلم بأنه قد لا يتقبل فكرة ارتباط طبيب اسنان بمقاولة، سوف يرى بعدها ان الأمر لابأس به، لأنها ستبقى هي نفسها التي وقع في حبها، مع فارق واحد وهو انها ستصرّ على السير على خطى والدها، لتكمل تاريخ العائلة في مجال البناء الذي شوهه بلايز هاملتون بقساوة واهمال.

يسعدها هذا النوع من العمل، خاصة هذا العمل بالتحديد، وعليها أيضاً ان تتذكر دوافعها، وهي ان تراقبه، تدون ملاحظات عن تقصيره، أية رشوات قد يدفعها، أو امور غير شرعية يقوم بها.

وقوفها هنا، والروائح تصل إلى أنفها، رائحة مواد وادوات البناء من فعل حرارة الشمس، جعلها تشعر بأنها تنتمي حقاً إليها. غريب ان تشعر بذلك في ورشة بناء الشخص الذي حطم منزلها وعائلتها... ووالدها. ستنال منه، حتى ولو كان هذا آخر عمل في حياتها.

هناك عائق كبير عليها انجازه الآن، فها هو يتجه نحوها، قلة الصبر بادية على وجهه والضيق في عينيه.

قيل له: «أظن بأن هذا الولد ينتظر ليراك يا بلايز.»

«ماذا؟» ثم نظر بلايز إلى الطريق.

لقد طلب من مكتب التوظيف ان يرسل له نجاراً متمرساً للمساعدة، كان متأكداً منذ اسبوع بأن جاك سيرحل. غير مستحب وجود عامل سريع الغضب في العمل. رغم ذلك، أمل بأن يرسل مكتب التوظيف أحداً قبل أن تصل الأمور إلى أشدها مع جاك. لقد أرسلوا له ولداً يضع قبعة رياضية على رأسه. ربما هرب من المدرسة لتوه. الولد بدا صغيرا للغاية خلف نظارات الشمس وضعيف ايضاً، حتى ان ليس باستطاعته ان يحمل صندوق مسامير.

تأكد بمرارة بأن هذا اليوم ليس هو يوم سعده، إنه سعيد لأنه شارف على الانتهاء. سيذهب إلى المنزل، وفكر بميلاني ربما لديها تذاكر لمسرحية، ثم قد يصيبها الجنون إن غط بالنوم أثناء العرض.

ميلاني هي أجمل سيدة رأتها عيناه، طويلة وشقراء مثله.

إنه مقاول بناء، ونجار. هذا ما هو عليه ويحبه. يحب أن تتسخ يديه، ان يرى المبنى وهو يشيد حجارة بعد حجارة، لا يحب الإدعاء والسيطرة، ولا ان يكون ممولاً او مستثمراً.

مشى بانزعاج وقال: «ما عساني أن أفعله لك؟» كان صوته بارداً بوضوح، وعن قرب بدا الولد وسيماً ويشبه الفتيات. ودهش بلايز لرؤية العينين الخضراوين المحدقة بعدائية، على الأقل علم لماذا يشبه الولد الفتيات. الولد كان فتاة!

«مكتب التوظيف قال بأن لديك مكان شاغر للعمل.»

لم يدرك بلايز القصد تماماً فقال: «إذا كان صديقك يريد العمل، عليه التقدم شخصياً.»

مسحات زهرية اضاءت وجهها، فهي ليست امرأة جميلة، قال بينه وبين نفسه، ولكنها جذابة، هناك عمق في العينين الخضراوين.

ذكر نفسه بأن لديه مشاكل عديدة مع الناس، إلى جانب أن تلك الفتاة ليست من النوع المحبب لديه، إنها رقيقة وصغيرة. لا يمكن إنكار انوثتها، ولكنها تبدو كفتى، كما خالها للمرة الأولى.

«أنا من يتقدم للعمل.» كان هناك عزيمة فولاذية خلف ذلك الصوت مما دعاه للتعجب، ولم يستطع كتم ضحكته.

«أنت؟ لا بد وأنك تمزحين؟» ثم ضحك ثانية: «يبدو ان معنى كلمتي، بناء المنازل قد التبستا عليك.»

نزعت القبعة عن رأسها، وبدا الشعر البني الفاتح، كما بدت كقزم صغير، فكر بسخرية، مثل قزم الغابة الغاضب.

«أنا جادة في ما أقوله.» قالت وصوتها متماسك رغم الغضب البادي في عينيها.

«لن اوظف امرأة لهذا العمل، إنه عمل شاق جداً.»

«هذا النوع من الكلام، سيدفع بك مباشرة لمواجهة لجنة حقوق الانسان يا سيد هاملتون.»

«هل تهددينني؟» سأل مستنكراً، وأراد ان يضحك من جديد، لكنه تمكن من السيطرة على نفسه، رغم أن هذا الموقف ذكره بالفأر الذي يطارد أسداً.

«كل ما اطلبه هو ان تمنحني الفرصة، ماذا ستخسر إن منحتني إياها؟»

احترام كل رجل في العمل، فكر بقلق. امرأة في فريق بلايز هاملتون؟ غير ممكن، ولا بأي شكل من الأشكال.

«الجواب، لا.»

ضاقت عيناها، وبدت كقطة التي ستبرز مخالبها.

«لن تجد أحداً غيري.»

هز كتفيه غير مكترث، رغم علمه بصحة كلامها. حركة البناء قوية هذه السنة، وكل رجل قادر على حمل مطرقة يعمل الآن، لكن رغم ذلك سيعمل بنفسه كل شيء وبيديه الاثنتين، ولن يوظف إمرأة.

«إذ لم توظفني، سأرفع شكوى للجنة حقوق الانسان.» قالت ذلك بهدوء، ولم تدع له اي مجال للشك بأنها ستفعل.

«ما يزال العالم حراً، يا آنستي، هذا عملي وسأوظف من أشاء.»

«هذا يتعارض وقوانين التمييز.» قالت ذلك بحدة لكن بثقة وتاكيد.

«أنا لا أميز، بل امارس حرية الاختيار.»

تعجب كيف أن طبعه تبدل من المجابهة إلى المناقشة مع

هذه الصغيرة المزعجة. بدأ يتأمل ملامحها وقد بدت مرتبكة نظراً لحمرة الخجل التي صبغت خديها.

«تريدين العمل مع ذئب كبير مثلي؟» سألها بصوت لئيم قاطع.

«باستطاعتي التعامل معك، ومع عشرة آخرين من امثالك أيضاً.» قالت ذلك دون أن يرفّ لها جفن.

لقد صدمته بجرأتها، فحدّق بها قائلاً: «انت لعبة صغيرة جميلة، اليس كذلك؟»

«لي ثلاث أشقاء كما كبرت وعشت بين مثل هذه الورش، انني أجيد ما أقوم به ولا أصدم بسرعة. واستطيع تحمل أي عمل تسنده إليّ.»

قال بجفاف: «بالتأكيد.»

تخيل نفسه جالساً إلى الهاتف، يطلب أرقاماً ويتلقى نفس الإجابات مراراً وتكراراً. مثل اصبر، أنا أعمل، أنا مشغول ربما بعد شهور، لقد بدأت بشركة للبناء خاصتي، آسف يا بلايز.

أما ميلاني فستجلس في الغرفة قبالته وقد بدا عليها الملل والسأم.

«آسف، لن أوظفك.»

تغيرت ملامحها للحظة، ليس إلى غضب أو ثورة، بل إلى كآبة، وكأنما شيئاً ما قد تحطم، كطفل طلب شيئاً وأجيب بالرفض.

احس بشيء في داخله يضعف، لم تدم شفقته سوى للحظات قليلة، لأن صوتها جاء قاسياً عندما تكلمت: «سوف أكتب شكوى الآن، أراك في المحكمة.»

احس برغبة ملحة بالتخلص منها، كما تخلص من جاك، ولكنه اخطأ وأدرك خطأه، كان عليه الإبقاء على جاك إلى حين استبداله بآخر.

سيطر على رغبته بالتخلص منها، نظراً للظروف التي سيعاني منها إن هو اقتيد إلى المحكمة، هل سيجبرونه على توظيفها رغماً عنه؟ ربما فعلوا. المساواة تتصدر المقالات الصحفية هذه الأيام، لن يفيد هذا شركته إن اتجهت الأنظار نحوه.

يبدو أسهل، ومسلي اكثر، ان يرى إلى متى يمكنها ان تستمر. هز كتفيه، ورفع حاجبيه قائلاً: «اتفقنا. لقد ربحت. اراك غداً.»

شعّ وجهها فرحاً، الأمر الذي جعله يدرك بأنه ارتكب خطأ كبيراً، كان من الأفضل له ان يذهب إلى المحكمة، ربما كانت تخدعه، على اية حال.

قال بينه وبين نفسه: من المؤكد انك لن تتمكني من الاستمرار لأكثر من يوم. خاصة يوم الغد حيث سيضعون الدعامات لأساسات الجدران. إنه عمل قاسٍ ومضنٍ وفريقه لن يضيع الوقت دون احراجها.

بامكان فريقه تضييق الخناق حتى على قطاع الطرق، حتماً سيثيرون اعصابها. ربما هذا سيكون درساً قاسياً عليها الاستفادة منه، وهو ان النساء لا يتكيفن مع اختصاصات الرجال، وخاصة الضعيفات الصغيرات منهن.

قالت بحزم: «كبداية اريد اثني عشر دولاراً في الساعة.»

حدق بها بدهشة: «سأعطيك عشرة. وإذا كنت تستحقين اكثر من ذلك، سأزيد المبلغ. أدفع دائماً للناس قدر ما يستحقون.» وفكر بالمبلغ الذي ستتقاضاه في النهاية ربما ثلاثين دولاراً لا اكثر.

قالت بثقة عارمة: «لذلك خلال اسبوعين فقط، سأتقاضى أعلى راتب في فريقك.»

«آه، مؤكد. أبدأ عند السابعة، إن تأخرت لا تزعجي نفسك بالحضور.»

«لن أتأخر.»

نظر إلى ذاك الوجه الصارم وأطرق هنيهة، لا من المؤكد انها لن تتأخر، تباً لها. وانصرف عنها، لقد حصل ما لم يكن يريده، رغم أنه اشتهر بسيطرته على المواقف.

عندما وصل إلى ورشة العمل، صرخ قائلاً: «أنت يا مورس، ماذا تفعل هناك؟ أنا لا أدفع لك المال لكي تجلس وتتأمل اظافرك.»

استدار ليلقي بنظرة خلفه ليرى ان كانت تسمعه. في حال وبخها كما يفعل الآن كيف ستتصرف يا ترى؟ كيف سيتمكن من احتمالها، حتى ولو لثلاث ساعات.

كانت في سيارتها خلف المقود، فاستدارت بها نصف دورة، ثم حييته مودعة وانطلقت.

«من كانت تلك الفتاة ايها المدير؟»

كان مورس ضخماً وكسولاً، ويجب حثه كل دقيقة للحصول على عمل جيد منه. كما كان ثرثاراً، حتى في هذه المهنة.

يمكنه الاعتماد على مورس ليكون قاسياً ووقحاً كي

يتخلص من هذه الورطة الصغيرة، وستولي الادبار مهرولة لترجع من حيث اتت.

أدرك أنه حتى لا يعرف اسمها، ربما سيحتاجه لورقة فصلها حين سترحل.

* * *

لو خطط لذلك، لما كان استطاع ان ينسق بافضل، لقد احس بالراحة بينما كان يتفقد الورشة في الصباح الباكر. كانت تمطر بغزارة، والألواح الخشبية التي ستحمل الطين من مكانه ما زالت مصفوفة على الرصيف، بدلا من ان يكون في أعلى التلة، ويجب نقلهم بالأيادي لمسافة خمسين ياردا في الوحل، انه من اصعب انواع الوحل، النوع الذي يبدو وكأنه مزج بالطين والذي يلتصق بالحذاء ويجعله يزن عشرة اضعاف وزنه.

إنه يعلم من سيقوم بهذا العمل، آه، لو تأتي، ربما قد تخاف المطر، ربما ستخشى من ان يبتل شعرها، ربما لا تحب الطين والأوساخ، كما هي حال النساء عادة.

لكن ها هي سيارتها الحمراء تتوقف عند الزاوية.

«آه، تباً.» تمتم في نفسه حسناً، ستجد السيدة بأن عمل الرجال هذا ليس لها. ولمعت ابتسامة عبر وجهه المبلل.

نظر إلى ساعة يده، إنها السابعة إلا خمس دقائق. ليبدأ العمل، وبدأ يصفر.

خرجت جانيي من سيارتها، فلم تعجبها ابتسامته، كان يقف ويديه متشابكتين وهو يراقبها، وبدا غير مهتم للمطر المنهمر على معطفه الزيتي اللون، لم يكن يعتمر

قبعة حتى، والمطر يسيل على وجهه من خلال شعره كأنهار صغيرة.

كانت ترتدي معطفاً شبيهاً بمعطفه. استدارت وتفقدت الورشة، كانت الفوضى تعمّ المكان، لم تكن تبالي بالمطر، إذ أنها تفضل العمل تحت المطر على الجلوس داخلاً اسيرته. وتعلم ماهية عمل الصقّالات. الفوضى عارمة حتى لو لم يكن هناك مطر، لذا ارتدت ملابس تتناسب والوضع.

سارت باتجاهه، محاولة اثبات ذاتها، ولكن بصعوبة، لأن الوحل كان يلتصق بحذائها. لاحظت بأن عينيه تضيقان بدهشة إذ أنه لم يتوقع بأنها ستعرف ما يمكن ارتداؤه لهذا العمل وفي مثل هذا الطقس الممطر. بينما من ناحيتها، أملت أن تفاجأه اليوم والأيام القادمة.

قالت باشراق: «صباح الخير.»

رد قائلاً: «بإمكانك البدء بوضع هذه الأشياء في الحفرة.»

نظرت جاني إليه بثبات، كان كليهما يعلم أن هذا فقط لاضعافها، فهي لا تستطيع حمل الأشياء الثقيلة الوزن كالرجل. هناك العديد من الأعمال التي يمكنها إنجازها تماماً كأي رجل، ولكن هذا العمل ليس من ضمنها.

حرّكت كتفيها دون مبالاة واخرجت قفازين جلديين من جيبها وليستهما. لأنها تريد ان تحمي يديها.

لم يصعق جوناثان بالخبر ليلة امس، ولكنه بدا غير موافق، في الحقيقة تمنت لو تستطيع إخباره بالقصة كاملة، ولكن مستحيل، ليس الآن لأنه سيحاول منعها. ولكنه علّق

قائلاً: «أظن بأن ما فعلتيه هو ردة فعل ضاغطة لكون والدك في المستشفى.»

توجهت نحو اكوام الأشياء ونظرت إليهم، كان هناك الرجل الضعيف الذي رأته بالأمس، وقد حمل لوحين على اكتافه الضيقة، فقالت له: «مرحباً، أنا جاني.»

نظر اليها شزراً بعينيه الزرقاوين الباردتين، لم يتوقف ولم يرد عليها، حتى انه لم يتفاجأ، بل تابع عمله.

حسناً، لم تكن تتوقع دعوة لحفلة شاي، ولا حتى لتبني صداقات. رغم ذلك، هذا يصعب المهمة التي اتت من اجلها.

كان عليها أن تزيل قطعة كبيرة تعيق سيرها أولاً، بما انها ما زالت نشيطة الآن، أزاحت إحدى القطع ووضعتها عالياً على كتفها. كانت ثقيلة لدرجة كبيرة، ولكنها تمالكت نفسها وأخذت تشق طريقها نحو الأعلى. سيكون صباحها طويلاً وقاسياً حتماً.

«مورس، الساعة الآن السابعة وخمس دقائق، من تظن نفسك؟ موظف في مصرف؟»

لم تتوقف، ولكنها لمحت بطرف عينيها وصول زميل لها في هذا العمل، كان الرجل الضخم. اشعث الشعر ولونه بلون الوحل، يتهدل نحو عينين، بلون الوحل ايضاً. بدا كالغوريلا، تساءلت إن كان في صغره كان خجولاً من حجمه مما دفعه لأن يحدودب حتى اصبحت عادته في الكبر.

ابتسمت له، ففغر فاه قائلاً: «سيدي، إنها امرأة!»

«طبعاً، دون مزاح.»

«حسناً، لكن كيف هذا؟»

«أظن بأن احداً لم يخبرها بأن المرأة مكانها في المطبخ، فأحبت ان تكتشف ذلك بنفسها.»

قالت جاني في نفسها: إنه يحاول استفزازي، لكي يطردني قانونياً. سيكون صباحها صعباً جداً. شعرت بعينيه الزرقاوين تنظران إليها تنتظر أية ردة فعل، ولكنها ابقت وجهها جامداً دون تعابير.

ثم هدد قائلاً: «لتنقل هذه الألواح للأعلى.»

استطاعت جاني ان ترفع احداها، تقدم مورس ورفع أربعة من بين المجموعة ووضعها على كتفيه وتوجه نحو أعلى التلة، بينما بدأت جاني تئن تحت وطأة الحمل.

«تستغرقين وقتاً أطول لتقومين فقط بنصف العمل، أنت لا تنتمين إلى هنا.»

شعرت بنفسها تشتعل غضباً، وأرادت ان تتحداه، فقالت: «أريد فرصة عادلة لإظهار مواهبي.»

أجاب: «ستكون لك ولكن لا تلومينني إن لم تعجبك.»

قالت بسخرية: «حسناً، ما افعله يعجبني، أنت من يشتكي.»

«حسناً، وكيف لا اشتكي؟ لقد وجدت شيئاً اشتكي منه، بالكاد لديك قوة لرفع فنجان شاي.»

«أنا قوية بالنسبة لباقي النساء في الواقع، قيمتي لا تقاس فقط برفع الألواح. رغم ذلك أقوم بالعمل، ولن اشتكي منه.»

زفر زفرة قوية وقال: «هناك إمرأة في الورشة منذ عشر دقائق، وبدأنا نضيع وقتنا بالثرثرة.»

«انت من بدأ بذلك!» ردت بعنف ثم رفعت لوحاً ووضعته على كتفيها، وتابعت بحدة: «والآن ابتعد عن طريقي.»

لاحظت وقد شعرت بالسرور من ذلك، بأنه فغر فاه، مندهشاً، فهو لم يعتد ان يطلب منه الناس الابتعاد! ولكن رجلاً من هذا النوع يجب ردعه. ان أمتع تجربة في حياتها ستكون، يوم ترغمه على الرضوخ.

اندفعت امامه ومن ورائها مورس، الذي رمقها بطرف عينيه بشيء من التحفظ.

بلايز تأمل مورس، من المفترض به ان يذيقها العذاب، لكنه على العكس، بدا خائفاً كولد في مدرسة لا يعلم كيف يتصرف امام مديرته.

«إنها رقيقة يا سيدي، ليس من الصواب تركها تحمل تلك الألواح.»

نظر الاثنان نحوها، كانت مبتلة بالوحل، ثم حوّل بلايز نظره إلى مورس وكانت نظرات قاتمة اكثر من الطقس.

«اتركي الألواح بطول الثمانية اقدام لمورس، بإمكانك نقل الألواح التي بطول اربعة اقدام إلى هناك.»

«سأنقل ذات الثمانية اقدام.» قالت بعناد، فهي لا تريد أي معروف من بلايز هاملتون.

«ستفعلي ما تأمرين به، والا اتركي العمل فوراً.»

الآن ما أنا بفاعل؟ سأل نفسه متحيراً. كان المقصود من كل هذا طردها من هنا.

وقفا هناك يتأملان بعضهما البعض لثواني، بدت كفأرة مبللة، نفضت رأسها بفخر مبعدة مياه المطر عن وجهها وانصرفت عنه.

حدق بها بغضب، لقد اسدى لها خدمة، ما هذا؟ شيء ما بداخله انبأه ان وجود امرأة في هذه الورشة، سيسيء إلى عمله كثيراً.

نظر إلى ساعة يده، عشرون دقيقة مرت دون أن تبدو عليها سمات الانصراف، ولا حتى الاستياء. إن دلت ملامح وجهه على شيء، فإنما تدل على رغبته هو بالإنصراف اكثر منها.

كان عليه أن يواجهها في المحكمة بدلاً من كل هذا.

الفصل الثاني

لطخ الوحل معظم ثياب جاني، وكانت تشعر بالألم الشديد في كل اعضائها، وقد التصق شعرها برأسها بفعل المطر المنهمر. جلست على علبة المسامير لتتناول الطعام، بينما بدأت الشمس بالظهور، فنظرت اليها.

أحست بالراحة لأنها تمكنت من العمل، لقد مرت بفترات هذا الصباح شعرت منها بأنها عاجزة عن المتابعة، ولكنها تخيلت والدها وهو جالس على الكرسي ذو العجلات والكآبة بادية عليه، الأمر الذي جعلها تريد الاستمرار بعناد.

قبل ثماني سنوات، كان رجلاً نشيطاً، وقوياً. يعتقد الأطباء أن وضعه الصحي الحالي سببه إدمانه على التدخين، قلبه لم يتحمل الوضع. لكنها تعرف السبب، كان قلبه بحالة جيدة حتى تلك الليلة، منذ ثماني سنوات، حيث داهمته ازمة قلبية حادة إثر زيارة بلايز له.

مورس و تامي، كما سمعت بلايز يدعو الرجل الآخر، كانا يجلسان في مكان آخر، ولم يحاولا التكلم معها، ولا حتى التكلم مع بعضهما البعض، بدا مورس فضولياً بشأنها، أما الرجل الآخر فبدا غير مبالٍ بأمرها.

اقنعت نفسها بعدم الاهتمام لأي شيء، وجلست على اكوام الصناديق مغمضة العينين ومتمنية ألا تنتهي ساعة الغداء هذه.

توقع بلايز بأن تكون قد اكتفت حتى الآن، وفاض بها الكيل، فتلقي بالمنشفة أرضاً وتعود إلى منزلها.

بدلاً من أن ترحل، عملت بثبات طوال فترة الصباح، لقد انجزت عملاً خلال الصباح اكثر من الذي قد يقوم به جاك على مدى اسبوعين. كل ما كان يتقنه جاك هو السرح بأفكاره وكأنما هذا اختصاصه، وتعود على الاختفاء لفترات طويلة اثناء العمل ويعود حال شعور بلايز بغيابه.

في الواقع هي افضل من جاك، لقد استفاد بما قامت به، وبثباتها وبنظراتها الحتمية الهادئة. لكن هذا لا يعني بأنه من الصواب وجودها هنا، كان عليه ان يتركها تنقل الألواح التي بطول الثمانية اقدام.

حدق بتعابير وجه مورس، وتنهد بعمق، نظراته حددت سبب رفض بلايز لوجود امرأة في عمله. لم يقم مورس بعمل كافٍ لهذا اليوم، ذلك لأن هذا المسكين كان مندهشاً لظهور امرأة شابة في مجال عمل الرجال.

ان طرد احد ما في مثل الظروف لهو سبب ضعيف يا بلايز، صوت خافت في داخله بدأ يتنازعه. هل هذا افضل ما يمكنك عمله لهذا الصباح؟

«آه، اخرس.» صرخ قائلاً فاستدارت رؤوس موظفيه نحوه.

عندما قال بحدة: «عودوا إلى عملكم. أين تظنون انفسكم؟ في حفلة بحديقة قصر باكنغهام؟»

نظر بسرعة إلى ساعة يده، ووجد بأنه يقطع فترة غداءهم قبل الوقت المحدّد بعشر دقائق. آمل بأن يتجرأ احدهم بالشكوى، كما آمل بأن تكون جاني!

راقبها وهي تجمع بقايا الطعام ثم تنهض.

عليه التخلص منها هذا ما يهمه الآن اكثر من أي شيء آخر.

* * *

«آه..» تأوهت جاني وقد اصبحت الآن في منزلها بعد ذلك اليوم المضني الطويل.

بعد مرور ساعة، رن الهاتف، فأسرعت نحوه، وعندما رفعت السماعة، سمعت جوناثان يقول: «حبيبتي، سآتي حوالي الثامنة لآخذك إلى السينما، حسناً؟»

أرادت أن توافق، ولكنها لا تستطيع فقد كانت منهكة، غير قادرة حتى على ارتداء ملابسها. كل ما كانت تتمناه هو المشي عدة خطوات لتصل إلى فراشها.

«لا أستطيع الخروج هذه الليلة يا جوناثان.»

قال لها: «ولما لا؟»

اعذار واهية مرت ببالها، مثل شقيقتها المفقودة منذ فترة قد عادت فجأة من بيلا بيلا؟ لا، جوناثان يعلم بأنه ليس لديها شقيقة. أو جدتها قد توفيت؟ الجميع يعرفون هذا العذر، إلى جانب انها تحب جدتها كثيراً. أو هي، نفسها جاني، مصابة بالصداع الشديد.

لماذا أكذب على الرجل الذي أريد الزواج منه؟ سألت نفسها مرتعبة من فكرة اكتشاف مشكلة كبيرة في شخصيتها في نهاية هذا اليوم.

«أنا متعبة يا جوناثان.» هذا ما قالته، وليكن ما يكون.

مرة ثانية ساد الصمت: «حسناً، أظن من المفيد أن تكوني سكرتيرة بعد كل هذا، أليس كذلك؟»

«انني فقط اشعر بعدم الاستقرار، امنحني اسبوعاً أو نحوه.»

«اتمنى ألا يطول الأمر بك اكثر من ذلك.»

«حسناً، لست وحدك من يتمنى ذلك.»

«هل جعلوا الأمر صعباً عليك؟»

«ليس اكثر مما توقعت.»

«إذاً، ماذا فعلت طول النهار؟»

أرادت أن تئن من شدة التعب، ولكنها تماسكت واطلعته على الأمر.

علق بسخرية واضحة: «ألا يبدو ذلك مضحكاً؟»

أخذت للحظة تتصوره، لقد كان جوناثان، اطول قامة منها بعدة سنتيمترات، له وجه وسيم، وشعر بني مصفف بعناية، ولكن الآن تعرف النظرة التي ستكون على وجهه وقد تجهم لسماع اخبارها.

«أنظر يا جوناثان الاصغاء لكلام الناس طوال الوقت لا يهمني، ولكن هل منعتك يوماً من القيام بعمل اخترته؟»

«الأمر ليس متشابهاً.»

طبعاً لا، وأخذت تتذكر وجودها تحت الأمطار، في الوحل، وقد انهكها التعب من ذلك العمل المضني الذي لا يقوم به سوى الرجال.

«جوناثان أنا متعبة، واشعر بالنعاس، سأقطع المكالمة الآن قبل أن نبدأ بالخلاف مع بعضنا البعض.»

أعادت سماعة الهاتف إلى مكانها... وجرت نفسها نحو السرير.

أتساءل إن بدأنا نكره بعضنا البعض؟ فكر بلايز، بينما

كان يحدق بميلاني. كان يجلس على الأريكة وفي يده كوباً من العصير، وفي الأخرى المحكم الآلي للتلفاز.

«بلايز أنت وعدت.»

«أنا لم أعد بشيء، أنظري، لقد امضيت يوماً صعباً بالعمل. كان هناك متسكع أبله، كما عملت ضعف المعتاد، ولن أذهب إلى السينما.»

رماها بنظرة، فغاصت في مقعدها وأطرقت، لكنه تظاهر بمشاهدة التلفاز.

قالت له: «في الواقع أرغب بمشاهدة هذا الفيلم، لقد رشح لجوائز عدة من قبل النقاد.»

اجابها بحدة: «إذن، إذهبي.» لقد راقب تلك المسكينة تهبط وتصعد التلة مئات المرات اليوم، ولم تشتك أبداً رغم ان لها الحق في ذلك، إنه مستعد للرهان على أنها لو أرادت الخروج إلى السينما فهي لن تحتاج لرجل إلى جانبها ليمسك بيدها.

وقفت ميلاني، ودلفت من أمامه، بعد لحظة سمع الباب يغلق.

«هذا أفضل.» قال في نفسه، لم يكن يشعر بالارتياح. لسبب ما أحس بأن المتسببة هي تلك الفتاة. فإن كانت تظن بأنها عملت اليوم، فستعلم غداً ما معنى كلمة عمل. الدعائم ستصب، بإمكانه إستئجار آلة لذلك ولماذا يزعج نفسه؟ إنه فقط يحاول التخلص من تلك الصغيرة المزعجة.

فكر بأن يعطيها مطرقة ويطلب منها أن تثبت الواح الدعامات، ذراعها ستتذمر بعد ساعة، ساعتين وسيلوح لها مودعاً. ذراعاها سيكونان منهكتين لدرجة أنها لن تستطيع التلويح باحداها لتودعه.

شرب آخر ما في الكوب من عصير.

حسناً، يفترض بالرجال أن يكونوا اقوياء على عكس النساء.

يجب ان تتعلم ذلك، تلك المتعبة الصغيرة، بأن هناك اعمال للرجال وأخرى للنساء، الرجال يبنون المنازل، في الواقع، بينما النساء يقمن بالتدبير المنزلي والأعمال اللطيفة داخل المنازل. على كل واحد أن يعرف أين مكانه، وهل يحتاج العالم إلى ميلاني أخرى.

انها تعرف اين يجب ان تكون المرأة تماماً، وتثق بمكانتها. تعرف كيف تبدو جميلة، تعرف اية شوكة تستعمل، وكيف تنفق المال دون حاجة بالطبع.

أحس بالذنب لتفكيره هذا بميلاني، إنهما معاً منذ ثمانية اشهر تقريباً، وفي الواقع، تروق له، ولكنه متعب، سيرسل لها زهوراً في الغد وستسامحه.

تساءل إن كان هناك احداً قد ارسل وروداً إلى تلك المسكينة، شك بذلك. فأي نوع من الرجال سيفكر بمثلها تفكيراً آخر؟

هل يكون من نوع الرجال الذين يجلسون على اريكة وكوب العصير بيده، يشربه بنفور. ورفض فكرة حمل وردة لها. إنها معفرة بالوحل، ضعيفة وصغيرة، تضحك بينما تقع في الوحل. تضحك، تساءل إن كان بإمكانه العثور على صخرة جيدة لتنقلها إلى أعلى التلة بدل ألواح الخشب في حال بقيت طوال اليوم الثاني دون أن ترحل.

* * *

لقد اخطأ جوناثان بحقها خطأ جسيماً. حين ارسل لها

الزهور إلى ورشة العمل، وفي المكان الذي تحاول فيه ان تدافع عن وجودها.

قرأت البطاقة بسرعة.

«آسف لم اكن لطيفاً معك ليلة امس.»

نظرت إلى الولد الذي أوصل الزهور، والتفتت نحو بلاين، كانت عيناه تقدحان شرراً.

رمت بالأزهار في السيارة حتى لا تراها اثناء النهار، وهرعت عائدة إلى عملها.

قال مورس: «زهور رائعة.»

حدقت به، منتظرة منه إحراجها، لكن لم يكن هناك سخرية في ذلك الوجه الكبير.

«شكراً، مورس.» ثم حملت المطرقة، وحاولت منع نفسها من التفكير بتلك الزهور التافهة.

نظرت إلى العمل امامها بتشاؤم، اصتكت اسنانها حين رفعت الدعامة الثقيلة الوزن عن الأرض.

قال الرجل الضخم: «اسمي حقيقة ليس مورس.» كان منزعجاً من رفع الألواح بيديه بينما هناك تكنولوجيا تساعد في هذا الوضع المتعب.

قالت بأدب: «ما اسمك؟» لم تكن متأكدة من انها الطريقة المناسبة للبدء بصداقتها مع هذا الرجل.

«كلارنس.» وتابع الضرب بالمطرقة مديراً ظهره. تألمت لحاله، ربما تعرض لبعض المضايقات بسبب اسمه.

سألت بهدوء: «اتود أن اناديك بهذا الأسم؟»

تقلصت اكتافه العريضة، ولكن جاني أحست انه فتح هذا الموضوع لرغبته بأن يدعى باسمه.

عملا بصمت، كلارنس بسهولة، وجاني تتوقف بين الفينة والفينة تشعر بالتعب، سأل كلارنس فجأة: «هل لديك صديق؟ هل هو من أرسل الورود الجميلة؟»

«أجل، هل لديك صديق؟» قال عامل آخر، بصوت ساخر.

بلايز كان يعمل امامهم، واهتمامه المفاجيء ادهشها. لكنها عادت لعملها، تطرق بالمطرقة بشغف وادركت بأنه كان يرمقها بنظرات ساخرة.

ذكرها قائلاً: «لم تخبرينا بأن لديك صديق.»

أرادت أن تقول بأن الأمر لا يعني اي واحد منهم، ولكنها احست بعدم ارتياح لأن هذا ربما قد يجرح احساس كلارنس ولكن لن يزعج بلايز.

«نعم، لدي.»

«آه.» تأوّه كلارنس بحماس.

«إنه طبيب اسنان، وستتزوج في الشتاء على الأرجح في شهر (ديسمبر) كانون الأول.»

قال بلايز متذمراً: «مهنة جيدة.»

قالت له بحدة: «عفواً!» لقد قرّرت اليوم بألا تمنحه أية فرصة في أن يجد أي خطأ في العمل.

«هناك سبب وحيد للزواج في شهر (ديسمبر).»

قالت مستنكرة: «وما هو؟»

«التهرب من الضرائب.»

تعليقه بأن الرجل سيتزوج في شهر ديسمبر كي لا يدفع الضرائب كاد ان يفقد اعصابها ولكنها تمالكت نفسها حتى لا تشعره بالنصر ولو حتى بالكلام معها.

لذا قالت بخبث: «في هذه الحال، آمل بأن يكون هناك حسماً على الزهور أيضاً.»

قال بلايز بغموض: «هه، هناك سبب واحد يرسل فيه الرجل الزهور لامرأة.»

«آه؟ وما هو؟»

«من المؤكد بانكما تشاجرتما، فطبيب الأسنان هذا لا يريدك أن تعملي هنا، أليس كذلك؟»

«ما يشعره خطيبي تجاه هذا العمل، ليس من شأنك على الاطلاق!»

حرّك كتفيه دون مبالاة وقال: «لا يهمني، في الواقع. هلا أسرعت الخطى، فهذا بدأ يتجمد.»

الطين لم يكن يتجمد، أدارت ظهرها له لتكلم كلارنس: «اتعلم يا كلارنس.»

قال بلايز مستنكراً حين سمع هذا الاسم: «كلارنس؟»

كان دور كلارنس الآن تصحيح الموقف، ونظر إلى بلايز ليقول بشيء من الحدة: «طلبت منها أن تناديني بهذا الاسم.»

قال بلايز وهو ما يزال يستنكر ذلك: «لكن لماذا؟»

اجاب كلارنس بهدوء وعناد: «لأنه اسمي.»

«هذا المكان سينتهي إلى الكلاب بأسرع مما توقعت.» قال ذلك بغضب وألقى نظرة غاضبة نحوها.

«على أية حال، كلارنس.» تابعت الكلام مع كلارنس، غير مكترثة بالكلام البذيء الذي سمعته او بتلك النظرات الغاضبة وكأنها لا تعنيها: «كنت اود أن اقول بأن لي صديقة اريدك أن تتعرّف اليها.»

بلايز وكلارنس سألا معاً بدهشة: «فتاة؟»

صححت: «إمرأة.»

اسم الصديقة هو مايبل، وجاني تعرفها منذ أيام الدراسة، إمرأة رائعة ـ ذكية ومرحة. لكنها فارعة الطول بالنسبة لامرأة، كما انها ليست جميلة. وطوال معرفتها بها، لا تذكر بأن احداً ما واعدها.

صديقتها تحب الأطفال، ونجحت حيث فشلت جاني كمعلمة، تخصصت بالانكليزية كلغة إضافية. الوحدة تلازم حياتها، مايبل تريد ان يكون لها أطفال. فماذا تخسر لو عرّفتها بكلارنس الذي يعاني من الوحدة مثلها؟

«صديقتي معلمة.» قالت وهي تأمل بأن يغير بلايز موقع عمله ويذهب بعيداً عنهما.

قال كلارنس بسعادة: «معلمة؟ ماذا ستفعل بي المعلمة؟ فأنا لست مثقفاً.»

«هناك أشياء اهم من العلم يا كلارنس، وهي الشخصية الطيبة مثلاً.»

شعرت بالراحة عندما غيّر بلايز مكان عمله، لقد انتهى صب الباطون الآن ولكن راحتها لم تدم كثيراً.

«اصعدي إلى هنا الآن.»

حدقت جاني ببلايز ورمت بمطرقتها، ثم صعدت بصورة آلية إليه.

«ما الذي تحاولين فعله؟»

«عفواً؟»

«دعي مورس وشأنه.»

«ماذا تعني، بأن أدعه وشأنه؟ الرجل وحيد.»

«الرجل سعيد. انك لا تعلمين شيئاً عنه، فهو شره، يأكل كثيراً ويتفوه بنكات بذيئة. تريدين أن تعرفيه إلى صديقتك؟ فقط تابعي عملك، ولا تتدخلي بأمور الناس، هذا ليس ما يفعله الرجال؟»

«لست برجل.»

«حسناً. عليك التصرف كواحد منهم عندما تقومين بعمل الرجل.»

«انني فقط اريد العمل، ولا يهمني أن اتصرف كرجل، لأنكم مجموعة دون احاسيس من الرجال، وأنت بلايز هاملتون، تقود المجموعة!»

هدر قائلاً: «أنا؟»

«أنت! لست أنا من لا يعلم شيئاً عن كلارنس، بل أنت. منذ متى يعمل لديك على أية حال.»

«منذ وقت طويل.»

«أتدري أنك تجرح أحاسيسه حين تناديه بـ مورس؟»

«هل قال ذلك؟»

«ليس بالتحديد، ولكن هل سبق لك وسألته عن اسمه؟ بماذا يحب أن تناديه؟»

«لماذا أسأله فأنا أعرفه. اسمعي، الرجال لا تتأثر مشاعرهم كما تتأثر مشاعر النساء افترض أن ما تحاولين قوله هو ان مشاعرك قد تتأذى اذا ما ناديتك مثلاً باسم رانت و ببسكوايك و سكويرت.»

«لن أتأذى لأنني لا اهتم لفظ مثلك...»

قاطعها قائلاً: «فظ؟»

«آه، ألا تحب الألقاب؟»

«أنظري، أنا المدير هنا...»

«فقط حاول.»

«أحاول ماذا؟»

«ان تناديه باسم كلارنس.»

«لماذا؟»

«لأن هذا هو اسمه.»

«علمت بأن هذا سيحصل.»

«ماذا؟»

«بأنك ستجلبين معك الأمور النسائية إلى هنا. وبعدها، سوف نضع المفارش البيضاء على علبة الغداء.»

«هل هذا يهدد شخصيتك إن تصرفت بتحضر يا سيد هاملتون؟»

قال بخبث: «سيدتي. لا تستفزي شخصيتي، إنها أكبر من أن تطالها متشردة مثلك.»

«اعرف جيداً كيف يمكنني التعامل مع امثالك. يا سيد هاملتون.» قالت ذلك بوقاحة واحست بأنها تخطت حدودها.

«ماذا تعنين؟»

«اعني بأنني استطيع التعامل مع شتمك ومع سيطرتك...»

«ما دخل ذلك بشخصيتي؟»

«لأنك تذكرني برجل الكهف! باستطاعتي أن أزج بك في السجن لتهجمك هذا، أتعلم؟»

«بالتأكيد، اذا كنت لا تستمتعين بهذا العمل.»

حذرته قائلة: «لا تتهجمني مرة أخرى، أبداً.»

قال باستخفاف: «لن أفعل، فقط حاولت إثبات شيء ما.»

«وما هو؟»

«النساء لا ينتمين إلى مثل هذه الأعمال، فقد يتغير النظام المسكين. مورس واقع بغرامك، رغم وجودك هنا منذ يومين فقط.»

«انه ليس مغرماً بي، ربما معجب بي، لأني احترمه واعامله بلطف يستحقه.»

«إنه معجب بك لأنك امرأة. يعجبه مظهرك وأنت ترتدين الجينز الأزرق، اما بالنسبة للطف، فاشك حقاً إن كان يعرف الفرق بينه وبين الفظاظة.»

«إن تعاملت مع شخص لطيف بامكانك أن تحوله إلى رجل فظ بأسرع ما يمكن!»

«هذا بالضبط ما وددت اطلاعك عليه، عندما يعمل الرجل والمرأة في مجال واحد، يحاول كل منهما إظهار مساوىء الآخر.»

«كيف تقول هذا؟ ان العديد من الرجال والنساء يعملون معاً، دون التصرف بوضاعة.»

«حسناً، أطباء الأسنان ومن يقوم بعمل مثل عملنا ليسوا من نفس النوعية، أنت تعلمين ذلك.»

«نعم أعلم.»

«على سبيل المثال، عندما أنظر إلى فمك آخر ما اتوقعه هو أن تكوني قد نظفت اسنانك.»

«إذاً، لا تنظر إليه ثانية، تتصرف وكأنك طفل في الثالثة من عمره.»

قال بسهولة: «تعودت أن أنال ما أريده.»

قالت بحدة: «حسناً، لكنك لن تستطيع النيل مني.»

كان من الواضح انه تعب من كل هذا، لذا صرخ قائلاً: «تباً، لا! أريدك خارج هذه الورشة.»

قالت بعناد: «آسفة لأجلك. فأنا لن أذهب.»

«بإمكاني تحطيمك إن اردت.»

«أفعل ما يحلو لك.»

دهش من نفسه، كان عليه ان يشبعها ضرباً، ولكنه لم يفعل، حتى أنه لا يعرف لماذا لم يفعل.

لكنه قال بتهكم: «حافظي على تلك القفّازات السخيفة، لأن الطين سيسلخ جلد يديك.»

رأى الدهشة تطل من عينيها.

«والا قد تقدمين الشكوى لأجل عدة خدوش في يديك.»

اختفت الدهشة من عينيها، هزت برأسها، وعادت لعملها.

راقبها بضيق، لم تكن جاهلة، لقد قامت بعمل مماثل من قبل، وحقاً، إن فكر بذلك منطقياً، لا يوجد اي سبب في العالم يمنع المرأة عن القيام بمثل عمل كهذا، لقد كانت في الأعمال التي لا تتطلب قوة وتعتمد على التركيز، اسرع بكثير من مورس.

عليه أن يبعدها عن ورشته قبل أن تفقده صوابه.

لكنها وعندما أصبح وقت تناول الغداء كانت ما تزال هناك.

ناولها بكراهية الأوراق الرسمية الخاصة بالضرائب والتأمينات، وقد تجاوز المبلغ المقتطع الثلاثين دولاراً.

بعد برهة، ناولته الأوراق ثانية، خطها نظيف ومرتب، اسمها جاني. جاني سميث اسم عادي واعتاد سماعه.

جاني، اسم ناعم ولطيف، لكنه لم يكن يدري لماذا يفكر به.

انتشله من افكاره احدهم وهو يقول: «مرحباً، مديري، السيد بول الذي يعمل عند الواحة قال بانك ستحظى بتنويه لتوظيفك امرأة هنا.»

«هل أخبرت أحداً عند الواحة بأنها هنا؟»

«بالطبع، هذا ليس سراً، أليس كذلك؟»

قال مستنكراً: «ليس بعد الآن.»

الفصل الثالث

«ايها المدير لا تدعها تحمل المزيد من هذه الألواح، إنها ثقيلة بالنسبة إليها.»

قال بلايز ببرودة: «لقد ارادت العمل.»

انه اليوم الخامس، لقد استيقظ وهو يشعر بالسعادة، وكأنه يعلم بأن هذا اليوم سيكون آخر أيام عملها. لقد دفعها إلى أن تعمل اثنتي عشر ساعة متواصلة أمس، وقد قامت بأعمال يرفضها حتى الرجال.

هذا الصباح حضّر لها عملاً من نفس نوع الأعمال السابقة. انتصف النهار وبدأت السعادة التي شعر بها بالتلاشي.

تعبت نفسيته، واستعد لأسوأ الاحتمالات. بدا متضايقاً حتى من نفسه، لقد كان يعتقد بأنها لن تستمر لأكثر من ثلاث ساعات، والآن إنتصف النهار الخامس، ومازالت تقاوم، ولن تستسلم.

«عليك أن تخجل من نفسك.»

كاد بلايز ان يقطع إبهامه بالمطرقة، فامسك باللوح الذي كان ينوي قطعه ورماه بعيداً بكل قواه. لم يكن يفكر بأنه قد يأتي عليه يوم في حياته ويسمع مورس يقول له بأن عليه أن يخجل من نفسه. هذا ما تقوله كل امرأة! الأمهات والجدات يستعملن هذه الكلمة، وليس عامل ضخم في ورشة بناء.

فقال لمورس بغيظ وحدة: «عد إلى عملك.»

قال مورس: «الألواح ثقيلة الوزن كثيراً بالنسبة إليها.»

«إذن؟ دعها تخبرني بذلك إن كانت هذه مشكلة.»

«لها كبريائها، ترهق نفسها دون أن تدع أحداً يكتشف ذلك.»

قال باستهزاء: «دعها تفعل.»

«اعطها عملاً آخر أو أرحل أنا.»

لم يصدق بلايز أذناه، لقد عمل مع مورس سبع سنوات، والآن هذه الصغيرة قلبت كيان مورس لمجرد أنها قالت له بأنها ستعرفه على صديقتها.

رغم ذلك، شيء ما في لهجة مورس أوقفه عن الانفجار. ألقى بنظرة إلى حيث كانت ترفع دعامة بطول ثمانية عشر قدماً، كان مشهداً مضحكاً حقاً، ولكنه لم يضحك.

توجه نحوها وصرخ قائلاً: «دعي هذا.»

رمت الدعامة بدهشة.

تابع صارخاً: «اليس لديك حس بالمسؤولية؟»

«لكنك قلت...»

«لا يهمني ما قلت لا أريد اصابات في هذا العمل. اذا كنت غير قادرة على فعل عمل ما، فقط اعترفي. ما انت، ألا تتألمين؟»

اجابت وقد رفعت رأسها بتعالٍ وكبرياء: «بإستطاعتي القيام بذلك.»

«هل سمعت بكلمة تواضع؟»

ردت قائلة: «ادهشتني، هل اعتدت أنت على هذه الكلمة؟»

«انظري يا سكويرت، يبلغ طولك خمسة اقدام ووزنك ستة وتسعون باوند. لا يمكنك رفع هذه الدعامات، فكل دعامة تقريباً بوزنك.»

«ولماذا إذن طلبت مني أن افعل ذلك وأنت على دراية بالأمر؟»

حدقت به، بامتعاض، ورأت شفتيه مقوستين. وبان في عينيه وميض، لكن ليس من الغضب. كانت تحاول اخفاء ضحكتها لكنها لم تستطع، فانفجرت ضاحكة، وجاءت ضحكتها مثل انسياب المياه على الصخور، صافية ومحببة.

وقف يتأملها وقد تسمّر في مكانه، بدت جميلة، منطلقة وطبيعية. لكنه لا يزال يرغب بطردها.

«هل تعلمين كيف تمسكين بالمنشار؟»

ابتسمت ابتسامة خفيفة، لقد مشا برجليه نحو الفخ، تلك هي اللحظة التي طالما انتظرتها.

بعد مرور ساعة، وجد بأنها تعلم كيف تأخذ المقاييس، وكيف تستعمل المنشار. وبدأت أمور تنجلي امامه، لقد حاول خلال سنين أن يدرب مورس وأن يعلمه كيف يفكر بالأمور اثناء عمله، بدلاً من الأعمال الغبية التي يقوم بها، ولكن كل تعليماته لم تستطع النفاذ إلى افكار مورس الباردة.

إستدار ونظر إلى مورس، لسنوات أصبحت عادته، التدقيق والصراخ عليه. ولطالما سمع العمال يقولون: «بإمكانك ان تجد مورس شارداً، أو مختفياً في مكان ما يدخن.»

عندما نظر اليه الآن قطب جبينه، لقد وجده، حقاً يعمل. انه يعمل بجدية متناهية! ضاقت عينا بلايز وهو يراه بين الفينة والفينة ينظر إلى تلك الصغيرة ليرى إن كانت تلاحظه.

كان يظهر لها امكانياته! كل تلك السنين الضائعة، فكر بلايز بإحباط، كان المطلوب إمرأة في الورشة فقط، انه لم يسبق له وأن رأى مورس بهذا النشاط.

ناداه قائلاً: «أنت، كلارنس.»

نظر مورس إلى الأعلى مندهشاً.

«عمل جيد.» لم يسبق له أن رأى كلارنس يبتسم هكذا من قبل. بدا كطفل مهمل دلّل فجأة. إن أراد أن يحل مشاكل الطبيعة البشرية عليه أن يعمل بالأعمال الخيرية.

إن لم يتخلص من هذه المرأة، فسوف تستمر بتعليمه اشياء عن ذاته، بعد أن امضى سنوات غير مهتم بمعرفتها.

* * *

كانت جاني متنبهة له، طوال الوقت. راودها شعور أزعجها، فهي لم تكن لتعير جوناثان اي اهتمام عندما كانت تعمل معه.

بالطبع، عيادة طبيب أسنان، مكان عمل متحضر. لا مجال لاستعراض القوى هناك. الناس لا تنهك قواهم هناك.

جوناثان بالطبع، لم يكن من نفس نوعية بلايز هاملتون، وهذا الاعتراف احسسها بعدم الوفاء، رغم ذلك، إنها

الحقيقة. القوة الصافية لبلايز واضحة. قوته تثير فيها شيئاً عميقاً.

لم يكن من النوع الذي يستهويها، ولا حتى كلارنس.

فكرت بتردد، ربما، كان علي أن اعمل في المجال الاجتماعي، حيث كنت سأدرس تصرفات البشر، لا، لا توجد هنا ألغاز. إنها الطبيعة، بسهولتها ونقاوتها. علم الطبيعة، وليس العلم النفساني، فالمرأة بطبيعتها تنجذب إلى ما يجذب غيرها من النساء.

ركزت انتباهها على كل تصميم الخريطة، درستها للحظات، ثم قاست وقطعت الخشب امامها.

ابتسمت حين تنسمت رائحة النشارة، ثم ارتعدت حين راقبت بلايز يحمل دعامة، ويسندها على كتفه ثم يلقي بها ارضاً، كان ينسقها حسب ارادته بسهولة، يركز المسمار عليها وبطرقتين من مطرقته فقط يثبته.

أحست بالدهشة لمقدرته هذه، استدارت وتناولت القطعة التي قطعتها للتو وحملتها إلى حيث ستثبتها في الأرض، وضعتها وبدأت بتثبيتها بقدميها أولاً.

أحست بشيء مفاجيء، الأرض تهتز من تحت قدميها، بالطبع الأبنية تهتز قليلاً قبل أن تتثبت كلياً، استدارت لتعود إلى مكانها، فأحست بنفس التماوج ثانية. نظرت في وجه بلايز، فرأت النظرة الثابتة الباردة لملامحه الوسيمة تحولت إلى صدمة ورعب.

لم يدر ما الذي دفعه للنظر نحوها، شيء ما غريب، احساس مفاجيء.

الأرض تتحرك!

ثم صرخ قائلاً: «أركضي!»

وقفت هناك فوق الأرض المهتزة كسفينة وسط عاصفة هوجاء.

«تحركي!» صرخ مجدداً ولكنها كانت كغزال انبهر بأضواء مفاجئة، تحدق بالأرض التي تنهار بضياع وشرود.

كان يركض حين ازداد عنف الاهتزاز، ولكن لم يردعه الحفاظ على توازنه والمجاهدة ليصل اليها.

عندما وصل اليها، امسك بيدها وشدها بقوة وعنف اكثر مما تصور.

وركض بها بسرعة البرق نحو الأرض الثابتة.

تساءل بينه وبين نفسه لماذا لم ينهار المنزل كله؟ هل ستبدأ الأجزاء الأخرى بالانهيار؟ وهذا ما حصل، فقد بدأت ارضية البناء من خلفه تنهار. ساد الصمت حين ارتفعت الأوساخ والغبار في الجو كغيمة من مكان الانهيار.

بعد ذلك قطع الصمت صوت انفاسها المتقطعة، فنظر اليها ووجدها تبكي.

«تباً.» قال متضايقاً. حاول أن يفكر بما عليه أن يفعله. لديه شهادة اسعافات اولية خاصة بمواقع العمل بدرجة ممتاز، يتوجب عليه أن يعلم ماذا يفعل، ولكن افكاره مشتتة، ويرسل له إشارة واحدة لا غير هي، ان يحملها ويسرع بها.

رفعها ومشى بها قائلاً مرة ثانية ولكن بلطف: «تباً.»

«ما الذي حصل، ايها المدير؟ هل تأذت جاني؟»

اعاده الصوت إلى صوابه، رفع بصره ليرى مورس

وتافي وقد ذهلا لمنظر الأرض المتكسرة، ومن ثم ينظران اليه واليها بذهول أكبر.

أجلسها بلايز وأجاب: «لا أظن ذلك، هل تأذيت؟» لو كان فعل ذلك أثناء امتحان الاسعافات الأولية، لكان نال شهادة للاعتناء بالبعوض المتأذي عوضاً عن شهادته.

«لا، أنا...» تقطع صوتها حين اجابت: «بخير.» أنهت بضعف وهي تمسح دموعها بكم قميصها.

أخذ نفساً عميقاً.

سأل مورس مجدداً: «ماذا حصل؟»

«لست أدري ما الذي حصل.» ولكن مهما حصل لن يستطيع ان ينسى بكاءها.

شعر بأنه هو أيضاً مصدوم، غير قادر على التفكير بعقلانية، دماغه معطل، كلياً.

ماذا حصل؟ بدأ بتذكير نفسه.

لا يدري ما الذي حصل للمنزل الذي كان يبنيه، وما الذي حصل له حين كان يحملها بين ذراعيه. ولكنه يعلم بأنه يعني الكارثة من جميع الجهات.

مشى نحو الأماكن الغير متضررة وحدق إلى الأسفل حيث وقعت الدعامات. شعر بالسعادة لأن احداً لم يصب بأذى، طوال أيام عمله كمقاول لم ير شيئاً كهذا. ولا حتى سمع بحصول مثل هذا الانهيار. ما الذي يجعل الأرض تنهار؟

استدار وتوجه نحو الآخرين، مورس كان يربت على كتف جاني يواسيها، تافي ينظر حوله بذهول، وجاني جالسة ورأسها بين يديها.

«توقعي بأن تسمعي كلمات لم تسمعيها في حياتك.» حذّر تافي زمياته جاني بينما كان بلايز يقترب.

ابتسمت جاني لمورس، وتمنت ان يتوقف عن الربت على كتفها، ولكنها لم تستطع أن تقول له هذا كي لا تخذله وهو يحاول مواساتها. توجه بلايز نحو الأماكن المتكسرة، وبعد لحظة تمكنوا من سماعه يشتم بعنف من الأسفل.

كانت ما زالت تشعر بالصدمة عندما سمعته يقول: «مورس، تافي، إنزلا إلى هنا الآن!»

تبادلا النظرات، وحاولت جاني الوقوف.

قال مورس بحنان: «لست مجبرة على ذلك.»

«أنا بخير.» في الواقع شعرت بأن حالتها النفسية انعكست على حالتها الجسدية.

«الأفضل أن لا تقتربي من بلايز وهو على هذه الحالة.»

قالت بكبرياء: «استطيع التحمل.» عليها ذلك! كان كافياً أنها بكت في الورشة أمامه، وما كان عليها ان تظهر حساسيتها المفرطة تجاه مزاجه، طبعاً وهذا سيزيد الأمور تعقيداً وسواداً.

تضايق مورس لاحساسه بأنه لم يستطع اقناعها، ولحقت به إلى الأسفل.

«ابدأوا بالتنظيم هنا.» زأر بلايز دون أن ينظر اليهم. اخذت تراقبه وهو يرفع المعدات المتكسرة من الحفرة، لو استطاع السيطرة على اعصابه، لحاز على الجوائز البطولات.

توقف فجأة عندما اخذ يحدّق بها، ثم قال: «هل أنت بخير؟»

الكلمات كانت فظة، اشمأزت لسماعها، وتاقت نفسها للعناية اللطيفة التي احاطها بها منذ بعض الوقت.

كان ذلك أمراً غير طبيعي. والآن عاد كل شيء إلى حالته.

«أظن ذلك.»

«إن كنت غير متأكدة، سأدع أحدهم يرافقك إلى المستشفى للتأكد.»

من المؤكد انه لن يكون ذلك المرافق، بعدما سمعت وقع كلماته القاسية الغاضبة. لماذا هو غاضب؟ هل لأن امره افتضح حين عثروا عليه يعاملها بلطف؟

«لماذا أنت غاضب؟»

أجاب: «لقد إنهار منزلي، ربما عليّ أن ارقص؟»

كانت متأكدة من أن الغضب نابع من شيء اعمق بكثير من ذلك فلم ترد أن تضايقه.

«لست بحاجة للذهاب إلى المستشفى، أنا بخير.»

«لا تبدين بخير، وجهك بلون شعر عمتي ماتيلد الأبيض مع بعض الزرقة على الأطراف. كفاني حوادث لهذا اليوم. إن شعرت بالاغماء، ارجوك افعلي ذلك بعيداً عن هنا.»

قالت بعناد: «ما زلت أرتجف فقط. لم يغمى عليّ مرة في حياتي.»

«لم يحصل أيضاً أن انهارت بناية لي، هناك مرة أولى لكل شيء.»

قالت مؤكدة: «لن يغمى عليّ.»

«جيد، لست مستعداً لانقاذك ومدّك بالاسعافات

الأولية.» قال ذلك مؤكداً لنفسه بأنه لن يلمسها مجدداً، مهما حدث.

«إن حصل واغمي عليّ افضل الارتطام بالأرض، على ان تنقذني، على أية حال لم اعد احس بالارتجاف ايضاً.»

«إذن عودي إلى العمل، اتظنين بأني سأدفع عشر دولارات في الساعة لتقضي الوقت تتأسفين على نفسك؟»

دافعت عن كرامتها: «انني لا اتأسف على نفسي.»

«كما انك لا تعملين ايضاً، اليس كذلك؟»

كان في وضع نفسي سيء، اعصابه مشدودة وبدا ذلك واضحاً من تقلص عضلات وجهه.

«بلايز؟»

«ماذا الآن؟»

قالت بعذوبه: «شكراً لك.»

«على ماذا؟»

«لقد انقذت حياتي، حين خلصتني من الكارثة.»

«أشك بذلك، ربما انقذت عظمة او عظمتين من الكسر. شيء آخر، ما كنت فعلت ذلك لرجل! كنت تركته يخلص نفسه بنفسه.»

تم تنظيف المكان بهدوء من الدعامات والأخشاب، لقد كانت الأضرار طفيفة بضعة قطع من الخشب تكسرت، ومجموعة كاملة من المسامير إلتوت.

لم يجدوا عمود الدعم الأساسي الحديدي الذي يدعم المنزل ويتحمل وزنه. معظم المنازل لديها ثلاثة، ولكن من

المفروض ان يكون لهذا المنزل الكبير ستة. الدعامات الأساسية الأخرى موجودة، الخمسة، ربما فسر هذا سبب انهيار هذا القسم.

قال بتردد لجاني: «مورس، تافي، اذهبا إلى الغداء، أنت. ابقي هنا.»

كانت تعلم بأن هذا سيحصل. وقفا يتأملان بعضهما البعض في عتمة اسفل البناء.

«كان يفترض بك وضع الدعامات الأساسية.» صرح بهدوء.

تعابير وجهه الآن هادئة، لكنها تحولت إلى باردة وقاسية.

«لقد قمت بذلك يا بلايز.»

«لقد انجزت خمسة منها.»

«بل الستة.»

«اذا قمت حقاً بتثبيت الستة جيداً لماذا انهار اذاً المنزل فوق رأسي؟ اعترفي بأنك ارتكبت خطأ. أنا اخطىء أيضاً. كان عليّ أن اتأكد بنفسي من انجاز العمل بدقة.»

قالت بعناد: «لقد قمت بعملي جيداً.»

«لماذا وقع المنزل إذاً؟»

قالت متعجبة: «لم استطع معرفة السبب ربما اردت التخلص مني بأسرع واسوأ مما توقعت.»

قال غاضباً: «ماذا تقولين؟»

«انها غلطة بإمكانك قانونياً ان تطردني بسببها. أليس كذلك.»

قال باستهزاء: «اسحبي كلامك. لا أخاطر بحياة الناس

من اجل سيدة سريعة الاستنتاجات، حادة الطبع، وغير عادلة.»

الرجل انقذ حياتها هذا الصباح، ولا يمكنها ان تكرهه حالياً.

* * *

كان الهدوء يعمّ المستشفى. ترددت جاني أمام الغرفة الموجودة في القسم الغربي، بعدها، اخذت نفساً عميقاً ودفعت الباب.

وضعت عدة وسادات خلف رأسه بينما جلس وعينيه مغمضتين، الانابيب داخل أنفه، وانبوب التغذية موصول إلى يده. وجهه شاحب وبدا نحيلاً ومنهكاً.

بدا لها أن ما تراه هو خيال لوالدها، ليس والدها، خيال للرجل القوي بضحكته العالية، للرجل الذي كان مفعماً بالقوة والحيوية.

«مرحبا، والدي.» ولمست يده.

فتح عينيه وابتسم بوهن. «جاني، ابنتي.» كان صوته أقرب من الهمس، ولم تستطع ان يتفوه بأي شيء. بقيت قليل، ثم غادرت غرفته والدموع تترقرق في عينيها. احست ان زيارتها القصيرة احبطت عزيمته. الرجل الذي تمكن يوماً من دق المسامير، ورفع المعدات الضخمة والثقيلة لعشر ساعات يومياً اصبح الآن عاجزاً عن تقديم التحية.

اين هو الرجل الذي كان والدها؟ هل ستستعيده يوماً؟ إنها غلطة بلايز هاملتون. لقد انقذ حياتها اليوم، ولكن هذا لا يعني بأنها نسيت ما فعله. ليت بإمكانها تبديل ما حدث

منذ ثماني سنوات، هل سيعود والدها إلى حالته الطبيعية يا ترى؟

تيقنت الليلة بأن والدها سيموت، ومتأكدة بأنه لن ينجو إلا بأعجوبة.

تحتاج للذيل من بلايز هاملتون.

بحاجة لأن تصدق بأنه هو من افتعل حادث الصباح، لاجل شيء تفهمه.

الفصل الرابع

«جاني! لا!»

كانت على وشك أن تطأ على شفرة المنشار الكهربائية. نبرة صوت بلايز سمرتها في مكانها ـ خاصة انه ناداها باسمها.

استدارت لتنظر إليه بينما كان هو يسرع اليها وقد شحب وجهه.

بدا وكأنه يهتم بأمر المنشار الكهربائي، راقبته وهو يلتقطه، فاغرة فاها.

رأى ملامحها فبدت مسحة من الكراهية على وجهه.

«ناولها يد المنشار. فتفحصته بدقة ووجدت ان شفرة النشر مشقوقة.

«كاد مورس أن يؤذي نفسه بواحدة مثل هذه عندما جاء هذا الصباح.»

كررت متعجبة: «واحدة مثلها؟»

«لم اكترث للأمر، ولكن حين رأيتك ستسيرين على واحدة أخرى، انتبهت إلى أن هناك فخاً أعد للعاملين.»

«كان من الممكن ان يتأذى أحد نتيجة ذلك.»

«أجل.» ثم بدأ بجمع الشفرات الملقاة هنا وهناك على جانبي المنزل.

راقبته بحيرة، ما الذي يجري في هذا المنزل؟ بلايز بدا مهتما بالأمر، ولكن منذ متى كان يهتم بلايز لأحد من عماله؟

سألته جاني عن مرآيك قد يكون فعل ذلك؟»

قال دون ذلك أو اقتناع «الاطفال على ما أظن.»

ربما سيحرق المنزل في وقت ما، أو ما شابه ذلك، ويتهم الأطفال وسوف يجمع شهوداً لذلك.

حدق بلايز مرة ثانية بجاني، كانت تلبس قميصاً اصفر اليوم وجينز.

ما لم يكن جذاباً فيها، هي النظرة التي في عينيها حين أخذت تراقبه بغضب واتهام.

نظر مجدداً إليها ليتحداها فأشاحت ببصرها، على أية حال لم يستطع تجنب نظرة الاحباط والاتهام في عينيها.

احتاج لبعض الاشياء من المخزن، وكذلك اصلاح هذا المنشار الكهربائي اصبح ضرورياً، وهنالك ايضاً عدة اشياء ضرورية عليه تأمينها من السوق.

سحب آخر شفرة من جانب البيت، لديه عدو، على ما يبدو. نظر إلى ظهر جاني الثابت، ربما أكثر من عدو. اطرق قليلاً، وافترض ان ما يجري له هو نتيجة سنين طويلة من العمل دون التصرف بعقلانية.

بدت الأمور جيدة، رغم أن الوقت قارب وقت الغداء، كانوا منصبين على عملهم، فشعر بالسعادة لذلك. لم يجد ما يعمله سوى أن يجلس يعرض نفسه لأشعة الشمس.

لكن الكل الآن يعمل، جاني ومورس منحنيان فوق عمل، ثم وكأنه تذكر شيئاً.

«منشاري!» صرخ بأعلى صوته، وهرع إلى أعلى التلة نحو محول الكهرباء ليقطع التيار، قبل أن يقترفوا اي ضرر.

استدارت جاني ونظرت إليه.

قال بحدة: «تباً، ماذا تفعلين؟»

أجابته: «أعلم كلارنس كيف يستعمل المنشار!»

«حسناً، انسي الأمر، لقد حاولت مراراً، وكل ما جنيته من تعليمه هو خسارة ثلاثة مناشر حتى الان؟»

سألت باستغراب:

«كيف كسرت المنشار؟»

«مرة كسره بالعمود، لا مرتين، ومرة لا أذكر بالتحديد كيف كانت الحادثة، ما اذكره تماماً، هو ان ذلك كلفني خسارة مالية.»

أعادت تشغيل التيار الكهربائي وهي تقول: «دعني اريك شيئاً.» وناولت المنشار الى مورس.

قال مورس بانزعاج: «لا أريد أن افعل ذلك وهو موجود هنا.»

قال بلايز بحدة: «ولكني أنا من أوقع على الشيك الخاص براتبك، وليست هي. إن كنت تستطيع القيام بشيء، ارني الآن.»

قال مورس: «انك تثير اعصابي.» ونظر إلى مقدمة حذاءه الضخم.

انفجر بلايز غاضباً: «اثير اعصابك؟ لم اكن اثيرها لأسبوع مضى!» ونظر إلى جاني بتوتر، انها هي السبب دون شك.

«اغضب كثيراً حين تبدأ بالصراخ. لهذا السبب كسرت المناشر، لذلك لا اقوم بشيء وأنت هنا، لأني اذا اخطأت تصرخ وتبدأ بالشتم.»

«أنظر يا مورس.» قال بلايز متضايقاً: «كلارنس، اعرف بأنني لم أوظف العمال الأكثر مهارة للعمل عندي، لا اتمتع بالصبر لكي اعلمكم كيف تقومون بالاشياء بالطريقة الصحيحة. اريد العمل ان يتم، واريده في الحال، كما اريده ممتازاً، لذلك انتهى بي الأمر كل مرة بأن اكون انا من يقوم به.»

«اعلم ذلك ايها المدير.»

«ما اعنيه هو اني لم اقصد يوماً ان اثير اعصابك، تباً، لم انتبه للأمر، وفي بعض الأحيان انفجر من شدة الضغط.»

«لا بأس، ايها المدير.» ربت مورس على كتفه بلطف غير معهود.

تباً لقد بدأنا نتصرف كالاغبياء، فكر بلايز وهو يشيح بوجهه عن مورس بعد أن ارتاحت نفسه إلى أن ولاء مورس ومحبته ما زالا قائمين نحوه، تأثر بذلك اكثر مما كان يتوقع.

«حسناً، احضر الجدران الجنوبية، أريدها هنا عند...»

ابتعد ونظر نحو تافي، تافي غارق في عمله، لا يتكلم، لا يشتكي، ولا حتى يطرح أية أسئلة. فقط يعمل ما هو عليه يوماً بعد يوم، ثم يتلقى راتبه بصمت كما يعمل بصمت، لقد عمل ثلاث سنوات لدى بلايز ولم يتكلم منذ ذاك الحين اكثر من ثلاث كلمات.

قال بلايز مهللاً له: «أنت، تافي، عمل جيد.»

لم يرفع تافي نظره حتى، فقط اومأ برأسه موافقاً.

رجل طيب، قال بلايز في نفسه بارتياح. اما بالنسبة لجاني فسيضحك كثيراً اليوم.

* * *

ذهبت جاني إلى مخازن هارفي لقطع الغيار، تحب الرائحة التي تستقبلها في هذه الأماكن، دخلت متمهلة، فهي لا تريد الاسراع في العودة إلى ذلك الرجل.

«نعم يا آنستي، بما استطيع مساعدتك؟» سألها رجل اصلع.

«أنا من شركة هاملتون للبناء. بلايز يريد اثنين من السكاي هووك.»

«آسف لقد نفدت الكمية، لن نحصل على المزيد قبل اسبوع ولكن لبلايز حساب مفتوح مع مؤسسة بيغ باند لمواد الأبنية ايضاً، لربما وجدت طلبك هناك.»

حاولت عند مخزن بيغ باند وكيلي ومستودعات اخرى الى ان وصلت إلى امبوريوم.

«أنت، مايك.» نادى احدهم: «بلايز هاملتون ارسل يطلب اثنين من السكاي هووك، هل لديك أي منها هناك؟»

اطل رأس من وراء الصناديق ليتفحصها، وبعدها سمع صوت متماسك من الخلف: «لقد نفدت جميعها اليوم آسف.»

«إنه يهزأ بي اليس كذلك؟» قالت مستنكرة وشعرت بغضب عميق في داخلها، ها هو يحاول اهانتها علناً ويجعلها أضحوكة للناس.

تمنت ان يأتي يوم تواجهه فيه في قاعة المحكمة فتخبر الجميع بأعماله المتسلطة. وابنيته المنهارة، ومناشره

المتكسرة، وكيف يرسلها لشراء اشياء لا وجود لها في الأسواق.

ضحك الموظف وقال: «نعم، بلايز يسخر منك، إنه يفعل ذلك مع عماله دائماً.»

غضب جاني تلاشى، إنه يفعل ذلك دائماً مع عماله؟ لبلايز روح الدعابة؟ بلايز يستغل ساعات العمل المدفوعة ليمازح الناس بفكاهاته؟

ابتسمت للموظف وسألته: «كم بنظرك تساوي تلك السكاي هووك؟»

بدا الموظف مرتبكاً وقال: «هنا تكمن النكتة، فلا وجود لمثل هذا الشيء.»

«في حال وجوده كم تظن ثمنه؟»

قال مشدوهاً: «مبلغ كبير.» ثم تناول دفتر الفواتير وتابع يقول: «ما رأيك بأربعة منهم بقيمة ألف دولار الواحدة؟»

«لا بأس.» قالت وهي تراقبه يكتب الفاتورة بعناية فائقة.

«اتمنى ان اكون هناك لأرى تعابير وجهه.»

اوقفت جاني الشاحنة في مكانها، وقفزت منها، ثم توجهت نحو التلة. تقدم بلايز منها قائلاً: «اين كنت حتى الآن؟ هل احضرتهما؟»

سيطرت على نفسها لتبدو الجدية على وجهها، رغم انها رأت بوضوح الوميض في عينيه.

ناولته الفاتورة قائلة: «هناك طلب شديد عليها، لقد نفدت الكمية اليوم، لكنهم سيلبوا طلبنا اولاً، وغداً صباحاً.»

رأت مورس يتوقف عما كان يقوم به واقترب منهما،

حتى مطرقة تافي توقفت عن الطرق، ولكن بلايز من كانت تركز اهتمامها عليه، قوس حاجبيه بينما كان ينظر إلى الفاتورة.

راقبت تبدّل ملامح وجهه بينما كان يقرأ الفاتورة.

قال بغضب شديد: «أربعة آلاف دولار! لماذا؟»

أجابت ببراءة: «سكاي هووك، أليس هذا ما طلبته؟ اقسم بأن هذا ما طلبته. القوة الرافعة المعكوسة التي تساعد في رفع الجدران، اليس كذلك؟»

«تباً، ماذا فعلت؟ ماذا اشتريت؟»

اطرقت للحظات تفكر كم ستتركه يتعذب. مسح بيده جبينه وردّ شعره الأشقر إلى الخلف بينما أعاد قراءة الفاتورة.

ضاقت عيناه وتلاشت الزرقة لتصبح لوناً كحلياً داكناً، لكن تافي وكلارنس تمالكا نفسيهما.

قالت له بهدوء قبل ان يتمكن من الكلام: «لقد اشتريت النكتة الأخيرة.»

أخذت الفاتورة من يده ومزقتها إرباً صغيرة ورمتها لتطير في الهواء.

ضحك مورس أولاً، وبعد ذلك تافي أطلق عدة ضحكات مستمتعاً.

حدق بلايز بها، رأت وهج الضحك في عينيه، بدأت اكتافه بالاهتزاز ثم دفع برأسه إلى الخلف ليطلق ضحكات عالية، ضحكت عندها ايضا، أخذوا جميعهم يضحكون.

ربت بلايز على كتفها بحنان، وقال:

«عودي إلى عملك يا سميت، لقد هدرت وقتي.»

أجابت: «وأنت كذلك هدرت وقتي ايضاً.»

حينذاك ادركت بأن امراً ما قد وقع، تنبهت بأنها للحظة مرت اعجبت ببلايز هاملتون جداً جداً.

«بلايز، حبيبي.»

انتفضت جاني لترى امرأة انيقة، شعرها طويل تخرج من سيارة كحلية اللون. كانت ترتدي ثوباً رسادياً.

كرر بلايز: «قلت عودي إلى عملك.»

فكرت جاني: من يا ترى تكون هذه؟ شقيقته؟ لا تبدو كذلك. قد تكون سكرتيرته؟ أو ربما صديقته، واحست فجأة بشيء ما يشتعل في داخلها.

ذهبت لتعمل بالجدار الجنوبي، إلى جانب كلارنس، لكنها بين الوقت والآخر كانت تسترق النظر إلى تلك السيارة حيث بلايز والمرأة كانا يقفان.

«تبدو جميلة اليس كذلك؟» قال مورس ذلك، وقد فاجأ جاني برؤية ما كانت تسترق النظر إليه.

وافقت جاني: «بل رائعة.»

قال كلارنس: «الجمال شيء داخلي. بلايز دائماً يصادق الحسناوات.»

«هل لديه الكثير من الصديقات؟» حاولت ألاّ تبدو شديدة الاهتمام.

«السيدات معجبات به لدرجة الجنون.»

«لا يبدو شديد الاهتمام لهذه الدرجة.»

«لديه صديقة دائماً، وعند المرحلة التي تظنين بانه قد تعلق بها، يكون في الواقع، يخطط لطريقة سريعة للتخلص منها.»

هذا افضل، محطم قلوب متوحش، يتخلص من النساء

اللواتي يهبنه اجمل سنين حياتهن، قاتل النساء، اضافت في ذهنها إلى لائحة جرائمه جريمة اخرى.

قال كلارنس: «يختار دائماً النساء الرائعات.»

في تلك الاثناء كانت ميلاني تعلّق بالقول لبلايز: «يبدو جلياً بأنك مستمتع اليوم.»

«لقد قمنا بمزحة على احد الموظفين.» ونظر إلى ميلاني بإعجاب، كم انها امرأة جميلة.

«ما كانت؟»

اخبرها بأمر السكاي هووك لكنها لم تضحك، بل نظرت إليه مذهولة، فلم يخبرها عن الفاتورة التي احضرتها جاني.

«مررت لأنني نسيت أن اجعلك توقّع لي هذا الشيك صباحاً.»

«أي شيك؟»

«تذكر، قلت بأنك ستدفع ثمن الفستان الذي اعجبني في العرض.»

«آه، نعم.» وقع الشيك الذي اعطته إياه دون أن يتذكر شيئاً عنه.

وجد نفسه تلقائياً ينظر إلى المنزل المرتفع، كانت جاني تدق دعامة بالمسامير، انها تعمل بجدية، سمع صوت مورس الخشن ثم بعدها ضحكات جاني. كانت اصواتاً غير متوقعة، اصوات لطيفة تقابلها اصوات المطارق واصوات الرجال الخشنة، كانت كزقزقة العصافير في ساحة حرب.

توقفت ميلاني عن الكلام ونظرت إلى أعلى التلة، عندها

كانت جاني تنقل عموداً عبر المكان. استدارت ميلاني وحدقت ببلايز الذي بدا بارداً.

«ليست فتى، إنها فتاة.»

أجاب دون اكتراث: «انك على حق تقريباً، لأنها امرأة.»

«هناك عاملة؟»

انه وقت التلاسن، قال في نفسه، فضاقت عيناه، حين قال: «وماذا؟»

«كان عليك ان تخبرني من قبل.»

«لم تهتمي يوماً بأمور عملي.»

«لا تصوّر الأمر وكأن عملك لا يعجبني.»

«هذا هو الواقع.»

«بلايز، أنت تحرف الكلام.»

«في الواقع عملي هو عملي، ولا علاقة لك به سابقاً أو لاحقاً.»

«لا اريدها أن تعمل هنا.»

لسبب ما لم يشعر بضرورة الافصاح عن ضيقه لوجودها هنا منذ اسبوع وأنه يشاطرها الرأي.

«بلايز اريدك أن تتخلص منها، انت تتخلص منها الآن، وهذه كلمتي الأخيرة.»

«كلمتك الأخيرة.» كرر كلامها باستغراب. لسبب ما احست ميلاني أن الطريقة الأفضل للسيطرة عليه هي في اصدار الأوامر.

«فتاة في ورشة بناء، هذا آخر ما كنت اتوقعه حين ازورك في عملك.»

«لست مهتماً بما ترغبين رؤيته في ورشة عملي.»

استدارت بعنف: «هذا ليس صواباً إنه... شيء مستغرب.»

قال بغضب: «مستغرب! وما الغرابة بإمرأة تعمل بكد ونشاط لتكفي نفسها، وليس مستغرباً على الرجل؟»

«منذ متى تدافع عن حقوق المرأة؟»

«انها تعمل بجد، وتعلم جيداً ما تقوم به، هذا ما يهمني في الأمر.»

«لا يعجبني الوضع يا بلايز، اطلاقاً.»

«لم لا تأتين للعمل عندي لمدة يومين؟ سيفيدك ذلك لتعلمي كيف احصل على المال الذي تتشوقين لانفاقه، ستفهمينني أكثر وسأفهمك اكثر.»

قالت غير مصدقة: «هل فقدت عقلك؟»

نظر اليها وقال: «إنها تقوم بالعمل جيداً.»

قالت ميلاني بسخرية: «آه طبعاً.»

«حتى الآن، جاني تتصرف بلباقة.»

أجابت ميلاني بدهشة: «امرأة تشتغل بنجارة البناء وتتصرف بمستوى وبلباقة؟ أنت لا تعرف معنى للمستوى ولا بشكل من الاشكال يا سيد هاملتون.»

«هذا ما تقولينه لي منذ عدة شهور.»

احست بأنها جرحته، فخففت من حدة غضبها وبدأت تتصرف بشيء من اللطف حين قالت: «افترض بأنك تظن بأنها ناعمة.»

«هذا هو الأمر؟ أنت تغارين؟»

قالت ميلاني: «منها؟» ودوت بضحكة عالية، فأحس برغبة جامحة تدفعه لأن يضع يديه حول عنقها ويخنقها.

«أنت من قال بأنني اظنها ناعمة.»

«هل تجدها كذلك؟»

أجاب: «لست الوحيدة الجميلة في العالم يا ميلاني. آمل بأن تفكري بأني سأحبك لأكثر من جمالك.»

«حقاً.»

تأمل بها لبعض الوقت، وأحس بضيق لأنه لا يستطيع الرد.

تنفست الصعداء واشاحت بوجهها عنه، مشت بعيداً بغطرسة وكأنها تثبت له ثقتها بنفسها. لم تكن تبدو جميلة له كما كانت حين خرجت من سيارتها.

استقلت سيارتها، وهدر محركها بطريقة غير عادية ثم غادرت مسرعة.

كل ما كان يدور في رأسه بأنها تهدر عجلات السيارة التي دفع ثمنها.

صعد إلى التلة، ثم صرخ بمورس الذي كان ينظر إليه متفحصاً: «إلى ماذا تنظر؟»

«فقط كنت افكر بأنك ستتلقى فاتورة غداً بثمن الأزهار التي سترسلها.»

أجاب بقلق: «نعم، ما بين الأزهار والسكاي هووك سأغدو مفلساً. حسناً، هل هذا الجدار جاهز؟»

كان جداراً كبيراً، وقفت جاني إلى جانب منه وتافي إلى الجانب الآخر، بينما هو ومورس وقفا في الوسط، انحنى الجميع ثم استعدوا.

صرخ بلايز: «ارفعوا.»

ارتفع الجدار لعدة انشات. إنه ثقيل للغاية. اربعة ازواج من الأيادي حملته وسارت به على مهل. إلى

الأعلى والأعلى. احست جاني بالتعب وهي تبذل قصارى جهدها.

ترك بلايز الجدار يسقط في موضعه فارتطم بصوت مدوي، فبدا سعيداً، راضياً، واثقاً من قوته، إنه عالمه.

الفصل الخامس

«لا يبدو أن الأزهار قد ساعدت كثيراً.» قال كلارنس بينما كان يضع الغداء امام جاني.

كان يوماً جميلاً، الشمس مشرقة، استدارت وبدأت تخلع قفازها متأملة المنظر، بلايز كان يتقدم باتجاههم، خطواته كانت واسعة ووجهه صامت.

كلارنس على حق، لا يبدو أن الأزهار قد حلت المشكلة فقد بدا بلايز وكأنه امضى ليلة بائسة.

ابتسمت له برقة وقالت: «يوم جميل، اليس كذلك؟»

«ان كنت تظنين بأن اليوم جميل لماذا لا تو ضبي غداءك وتاخذي نفسك في نزهة جميلة في مكان ما؟ وانسي العودة إلى هنا.»

مازحته بعذوبة: «ستشتاق إليّ.»

«أجل، عودي إلى العمل الآن، اريد الجدران الخارجية ان تكون جاهزة اليوم.»

«حاضر يا سيدي السعيد.»

«يا لك من ثرثارة صغيرة.» وعبس بوجهها، ثم صرخ آمراً كلارنس، وصعد السلالم.

بعد لحظات رأته يسير على حافة الجدار بغرور وثقة، وتمنت لو يقع.

سألت كلارنس باهتمام واضح: «هل سبق له أن وقع؟»

«بالتأكيد، سقط عن سطح البناء السابق، وعلى نشارة الخشب، شيء لا يصدق.»

بدأت تنسق الألواح التي ستحتاجها للجدار التالي.

سمعت بلايز يستغيث، وصعقت لرؤية الحائط الذي كان يسير عليه يتأرجح بجنون، كان يحاول الاحتفاظ بتوازنه، لكن ما من شيء فعله استطاع ان يهدىء الحائط.

راقبت بهلع وقوع الجدار إلى الجهة الأخرى، فهبت مسرعة نحوه حيث طار ووقع فوق كومة للنفايات.

كان ممدداً هناك ينظر إلى السماء والألم واضح على وجهه: «هل تأنيت؟» اندفعت نحوه، ومسحت بيدها جبينه دافعة بشعره إلى الخلف وهي تنظر في عينيه.

«أجل، يدي.. أمسكي... يدي.»

تحولت بسرعة إلى حيث يده، فانكمشت امعاؤها للمنظر، مسمار صدىء دخل في إبهامه.

امرها قائلاً: «اخرجيه يا جاني.»

أرغمت نفسها على البقاء متماسكة وقالت: «لا، من الأفضل يا بلايز، أن نذهب إلى المستشفى.»

قال وهو يتمزق الماً: «دائمة الثرثرة.»

«كلارنس.»

وصل مورس وتجمد مكانه، كانت عيناه مسمرتين على يد بلايز، فتغير لون وجهه.

«مورس، ايها العجوز، اخرج هذا من يدي، حسناً؟ ان تلك الصغيرة لن تفعل.» ثم اغمض بلايز عينيه.

«كلارنس!»

سقط كلارنس بنفس الثقل الذي سقط به الجدار.

فتح بلايز عينيه، ونظر إليه ثم هز رأسه بحسرة وهو يقول: «لم يتحمل منظر الدماء، ما كان عليّ أن

اطلب ذلك منه.» لملم نفسه وحاول الجلوس. «اهتموا بمورس.»

لم يكن بوسعها ان تفعل شيئاً لكلارنس، سوى ان ترفع وجهه عن الأرض لكي يتنفس. ظهر تافي امامها فجأة، بوجه مندهش.

قالت مشيرة إلى بلايز: «هل تساعدني لنوصله إلى سيارتي؟»

قال بلايز بحدة: «ها قد أتى اليوم الذي اطلب فيه مساعدة. استطيع المشي.» ثم وقف بسرعة.

قال وهم ينزلوه عن التلة: «لنأخذ الشاحنة. ما من داعٍ لاستعمال وقود سيارتك اثناء العمل.»

نظرت إليه غير مصدقة وقالت: «في وقت كهذا، تفكر في العمل؟ بصراحة، أنت حالة ميؤوس منها.»

رد قائلاً: «لم اكن أفكر بالعمل.» والألم يتماوج في صوته: «كنت افكر بك.»

«بي؟» صدمت بقوله.

«لست مجبرة على استعمال سيارتك لـ....»

«بلايز ارجوك اصمت وادخل السيارة دون احتجاج.»

بدأ يشتم حين استقر بداخل السيارة.

«هل تؤلمك؟» قالت بينما مالت نحوه لتثبت حزام الأمان حوله.

«ابداً. لا تؤلمني البتة.»

«تافي، ضع خرقة مبللة على جبين كلارنس، وحين يستعيد وعيه ضع رأسه بين ركبتيه ليستعيد توازنه كاملاً.»

ثم صرخ بلايز: «ولا تدعه يلهو ويضيع الوقت، اريد الجدار جاهزاً.»

«اسكت يا بلايز.» امرته بينما اتخذت طريقها نحو الشارع العام.

اغمض عينيه وقال بحدة: «امرأة وقحة، ألا يمكنك القيادة بسرعة اكثر من هذه؟»

«انكر انك نكرت بأنها لا تؤلمك.»

قال بصوت منخفض: «لقد كذبت، انها تؤلمني قليلاً. يبدو أن الألم يزداد مع مرور كل لحظة.»

نظرت إليه فبدا شاحب الوجه حين قال: «لا يمكنني أن استوعب كيف أن ذلك الجدار سقط، هذا المنزل مشؤوم. من الواضح أن وجود امرأة هو نذير شؤم في العمل.»

«هذا بالتأكيد تفسير علمي لما حدث.»

قال باقتضاب: «علم البيولوجيا هو علمي.»

«ما معنى هذا؟»

«كان من المفروض ان يحمل كلارنس الجدار وحيداً، آه، ارجوك يا جاني خففي السرعة، لديك جريح هنا.»

«لا يمكنني ان اقود بسرعة وعلى مهل في آن واحد ولا اظن بأنك ستتهمني بوقوع هذا الجدار، فلا علاقة لي بالأمر.»

«لا ألومك، ألوم البيولوجيا.»

«هل هذه افتراضات حتى تثبت صحتها؟»

«جاني، أرجوك لا تدعيني اضحك، ذلك يؤلم يدي.»

«إذاً، احترم نفسك، او سأبدأ برواية النكات.»

«آه، جاني، ساقاوم الألم شرط أن اسمع تلك النكات من فمك الرزين.»

قالت بعنفوان: «لست رزينة!»

«بالتأكيد كذلك، الجميع يعمل دون قمصان ما عداك.»

«انس الأمر يا بلايز.»

«إذن، أخبريني واحدة قبل أن امضغ يدي من شدة الألم.»

«لا استطيع تذكر واحدة الآن.»

«حقاً؟»

تنفست الصعداء عند رؤية المستشفى إلى يمين الطريق. دلفت نحو الشارع الفرعي وقادت السيارة نحو مدخل الطوارىء قائلة: «ها قد وصلنا.»

دخلا المستشفى واجريا معاملات الاسعاف، ثم تقدم طبيب والقى بنظرة فاحصة على يد بلايز.

«مسمار مضغوط اليس كذلك؟»

«كلا، انا من سقط عليه.»

«حسناً، تعال معي.»

جلست جاني على مقعد قديم، وبدأت تجيل نظرها في المكان.

والدها موجود في الطابق الثالث من نفس المبنى، تساءلت لو تستطيع ان تراه الآن، يا للسخرية هو وبلايز في نفس المكان وقد انقذت بلايز لتوها. كان باستطاعة تافي مساعدته للقدوم إلى هنا، كان باستطاعتها ان تبطىء بالقيادة.

متعتها ليست بأن تراه يتألم جسدياً، أوما شابه ذلك.

مرت الدقائق ببطء، تناولت مجلة قديمة وبدأت تتصفحها

«جاني!»

رفعت بصرها مشدوهة.

«جوناثان.»

«ما تفعل هنا؟» سألا نفس السؤال معاً.

«لدي حالة طارئة لمريض اسنان، وأنا اليوم اعمل في قسم الطوارىء.»

«لقد اصيب مديري.»

وقفت، ولاحظت بأن سلام جوناثان لها لم يكن حاراً، أدركت رغم أنها لم تعمل طويلاً قبل الحادثة، إلا أن النشارة والأوساخ تغمر ملابسها، ولاحظت بأنه ربما لا يود أن يراه احد وهو يعانق مساعدة نجار بناء.

تكلما لدقائق بإحراج، ثم خرج بلايز ويده ملفوفة بضماد ابيض مرتب، وابتسامة ساخرة تعلو وجهه.

«لقد اعطيته كمية وافرة من مسكن الألم.» اخبر الطبيب جاني ثم اعطاها وصفة طبية على ورقة. «يجب أن يتناول هذه الأدوية، لا يمكنه العودة إلى العمل قبل يومين.»

«جوناثان، هذا هو مديري بلايز هاملتون، بلايز، هذا خطيبي الطيب جوناثان بيترز.»

مد بلايز يده اليسرى، بما أن اليمنى كانت مضمدة، لاحظت بأن جوناثان رفع حاجبيه باستغراب عندما صافح بلايز، كما لاحظت بأن بلايز كان يقف امام جوناثان كالقلعة الشاهقة.

تقدمت من جوناثان وقبلته، ثم تراجعت ورمت بلايز بنظرة حادة.

«هل أوصلك إلى المنزل يا بلايز.»

«المنزل؟ تباً سأعود للعمل.»

«لقد قال الطبيب...»

«ها، باستطاعتي كسر ذلك الطبيب إلى قطعتين كقلم الرصاص.»

نظر إلى جوناثان مفكراً فأملت بألاّ يقول وهذا ايضاً.

«مهما فعلت، ستذهب إلى المنزل.»

سأل جوناثان مستغرباً: «هل لاحظت عنادها؟»

«في الواقع، لا يمكنني أن انكر ذلك.»

سأل بلايز: «ماذا تفكر وأنت تنظر إلى فمها؟»

سأل جوناثان: «عفواً؟»

«حسناً، مثلاً أن تفكر بأسنانها، أم ماذا؟»

«لجاني أسنان جميلة.»

ردّد بلايز: «أسنان جميلة، اسنان جميلة لتمضية نزهة جميلة.»

سأل جوناثان: «أية نزهة.»

«جوناثان إنه يهذي. لا بد أن الطبيب قد اعطاه جرعة مسكن كبيرة.»

قال بلايز لجوناثان: «نزهة يوم الأحد المدرسية. جاني جالسة على مفرش في الحقل بين الزهور. هل فكرت بذلك يوماً؟»

أجاب جوناثان بذهول: «في الحقيقة لا. علي العودة في الحقيقة إلى المكتب. تشرفت بمعرفتك يا سيد هاملتون. جاني سأراك في المساء.»

«الوداع يا جوناثان.»

بطريقة ما استطاعت ان تعيد بلايز إلى السيارة ووضعت له حزام الأمان. استدارت وجلست في مقعدها ثم تنفست بعمق وهي تقول: «أين تسكن؟»

سأل بثقل: «سكنك أم سكني يا حبيبتي؟»

قالت بعصبية: «منزلك بالطبع، ولا تدعوني حبيبتي.»

«حسناً،زهرة برية.»

«لا تدعوني هكذا، ايضاً.»

«جاني زهرة برية.» وبدأ بالغناء.

«ماذا اعطوك، لتصرخ هكذا؟»

«مسكناً يوقف الألم يا جاني زهرة برية.»

قالت مستهزئة: «أراهن بأنه فعال.»

«اشعر بالسعادة.»

«حسناً، تغيير جيد.»

«بلايز، اخبرني اين تسكن.»

أخبرها. وفي الطريق بدأ يزعجها بأن يمسك مقود السيارة تارة، وتارة يلعب بالمفاتيح، وطوراً يغني.

أخيراً، وقفت امام مبنى فخم، وشعرت بالسعادة عندما خرجت من السيارة، اتجهت بسرعة نحوه وفتحت له الباب. أمرته قائلة: «فك حزام الأمان.»

«لا استطيع يدي تؤلمني.»

«لو كانت يدك داخل حريق لما احسست بشيء الآن.»

قال بثقل: «طبيب هزيل صغير كان باستطاعتي كسره لقطعتين كقلم الرصاص.»

«جيد، بهذه القوة تستطيع أن تمد يدك وتفك حزام الأمان.»

أخيراً فك الرباط وخرج يتمايل من السيارة، ساعدته للوصول إلى الباب الرئيسي. «هل ستدخلين يا جاني، الزهرة البرية؟»

كانت تعلم بأنه لا يفترض بها ذلك، وأن واجبها نحوه قد انتهى، ولكن فضولها لمعرفة طريقة حياته دفعها لأن توافق.

«سأطمئن عليك حين تستقر.»

ساعدته للوصول إلى باب شقته قائلة لتوقفه عن الغناء بصوت عالٍ: «هل بنيت هذا المكان؟»

«هل تمزحين؟ انظري إلى الجدران، هل ترين مثلها في ابنيتي؟»

بدأ يترنح وهو يحاول فتح الباب. «لن ابني منزلي...» فتح الباب فجأة واندفع إلى الداخل، وبينما كان يحاول استعادة توازنه تمسك بالباب وانحنى لها لكي تدخل.

«لن تبني منزلك وماذا؟» كررت قوله ليكمل حديثه. المكان بسيط جداً، لا فخامة ولا حتى لمسات ناعمة فيه، هنالك رسمان بسيطان في إطار على الحائط واريكة بدت وكأنها كانت في موقف للسيارات سابقاً، تقدم ووقف امامها قائلاً: «حتى اتزوج ويصبح لي اولاد. المنازل ليست للسكن، إنها للأحلام. أطفال يضحكون، حلويات تخبز، وموقد يشتعل.»

سألته مندهشة: «هل هذا هو حلمك؟»

اقترب منها، وقد بدا التعب جلياً على وجهه، ثم قال بصوت عميق: «هناك المزيد، الأطفال نائمون، والمنزل هادىء. فيه زوجة تنتظرني بنظرة وابتسامة حانية.»

ابتسم بخبث، مما اظهر صف اسنانه البيضاء الرائعة. «انها فقط احلام يا جاني. لا داعي للخوف. عندما نكبر بالعمر نعرف الفرق بين الحلم والواقع.»

شعرت بالحزن لأن بلايز لا يؤمن بأحلامه وبالتالي لن يحقق شيئاً منها.

«أظن بأن عليّ الذهاب للنوم، جاني زهرة برية.» تبسم لها. «اتريدين الذهاب معي؟»

قالت باستخفاف: «أنت لا تعي حتى ما تقول.»

«معك حق.» اعترف قائلاً، ثم لوح لها بيده واستدار حول نفسه ثم توجه نحو غرفة النوم.

الآن عليها الذهاب، ليس لها من عذر للبقاء، سمعت ارتطام جسده القوي بالسرير. ذهبت إلى البراد وفتحته، فابتسمت، علبتي طعام جاهز ونصف علبة سردين مفتوحة. لا عجب بأن بلايز يتصرف بفوضوية احياناً.

استدارت وفتحت خزائن المطبخ فوجدت كيساً من الخبز المحمص، علبة زبدة بندق، وعلبة قهوة سريعة التحضير وثلاث علب سمك تونا. تابعت البحث، فوجدت عدداً من مغلفات الليموناضة الجاهزة.

حضرت ابريقاً كبيراً من الليموناضة وبعض شطائر التونة، لفت الشطائر ووضعت الكثير من الثلج في الليموناضة، لربما استيقظ عطشاً بعد المهدئات، وجائعاً ايضاً.

عندما دخلت الغرفة لم يكن باستطاعتها خداع نفسها الشطائر والليموناضة كانا عذراً فقط، كل ما كانت تصبو إليه هو الدخول إلى غرفته.

كان في سريره الذي لم يكن من النحاس، وقد نزع فردة واحدة من حذائه.

دخلت الغرفة تمشي على رؤوس اصابعها، وخائفة من

ان يستعيد وعيه، فوضعت الصينية على منضدة قرب السرير.

المقروشات هنا بسيطة، اختيرت لتلبية الأمور ولكن ليس بذوق، فلا لوحة على الجدار، ولا تنسيق لطيف، ولا حتى ستائر على النوافذ.

احست بشعور غريب حيال ذلك الرجل الضخم على الفراش والذي كان يتنفس بعمق واضح. ربما لأنه اشركها بحلمه العائلي، وطريقة حياته بعيدة كل البعد عن أحلامه.

انتزعت حذاءه الآخر وغطته بالغطاء. نظرت إلى وجهه النائم فاندهشت لحقيقة أن رموشه كثيفة وداكنة عندما يكون نائماً.

* * *

سألت كلارنس عندما عادت: «كيف تشعر؟»

«بخير.»

«لم أنت محرج بشأن الاغماء، هذا يحصل للعديد من الناس.»

«هل حقاً؟ اقصد، حتى للأشخاص الضخمين مثلي؟»

«بالطبع، الحجم لا دخل له بهذه الحالة. لقد تبرعت بالدم ولقد رأيت العديد من الضخمين يغمى عليهم.»

قال منشرحاً: «حقاً؟»

«بالتأكيد.»

«كيف بلايز؟»

«مخدر كلياً بفعل المهدئات. وسيتوقف عن العمل لعدة ايام.»

«هذا لن يردعه.»

«أظن ذلك، وهذا رأي الطبيب ايضاً. ولهذا اعطاه كمية كبيرة من المهدئات، اتصور بأنه أراد أن يبقيه مرتاحاً ولو ليوم واحد. على فكرة، هل توصلتم إلى معرفة سبب سقوط الجدار؟»

«لا يعجبني الأمر، أظن بأن احداً قد عبث به.»

«ماذا؟»

اقتادها كلارنس نحو الجدار ثم قال: «أنظري. استطيع ان احدد آثاراً، أحدهم حل المشابك وتركها معلقة ليبدو الأمر طبيعياً وحين وضع بلايز ثقله على الجدار حصل ما حصل.»

«ولكن لماذا قد يفعل احدهم ذلك؟»

حادثة اخرى غير منطقية اضيفت إلى لائحة الحوادث، وإن دلت هذه الحادثة على شيء، فإنما تدل على عدم تورط بلايز اطلاقاً. فليس منطقياً أن يسير على حائط كان يعلم بأنه غير ثابت.

بالطبع، إنه رجل ذكي، لا يسعها إلا أن تعجب بذكاءه المتقد، بنظرة واحدة منه على الخرائط، يعلم ما يفعله وما لا يفعله. يستعمل الرياضيات بسهولة ودائماً يصور الزوايا ويعرف الأوزان.

لغاية الآن، ما زالت تجمع الأدلة، وعليها ان تتذكر دائماً حقيقة واحدة وأكيدة، بأنه السبب المباشر لوجود والدها في المستشفى اليوم.

تنهدت ثم قالت: «تافي، ما الذي برأيك قد حصل للجدار؟» حدق وحدق بها، فتراجعت قليلاً إلى الوراء وقد رأت

نظرة الخوف في عينيه كحيوان وقع في المصيدة، فلملمت نفسها وابتعدت عنه.

هل يعلم تافي شيئاً عن ذلك الجدار لا يعلمه الاخرون.

ثم قالت: «لنرى ان كان باستطاعتنا اعادة الجدار الى مكانه.»

لقد تمكنا كلارنس وتافي رفع العديد من الجدران، ولكن هذا بالذات بقي على الأرض.

قال كلارنس مندفعاً: «لقد تعاونا نحن الاربعة من قبل ولم ينجح الأمر.»

قالت بعزم: «باستطاعتنا القيام بذلك.»

كلاهما، كلارنس وتافي استدارا لينظرا اليها.

قالت بزهو: «اعلم بانني عنيدة وثرثارة ومتآمرة أيضاً، ولكنني اظن انه باستطاعتنا ذلك.»

لسبب ما كانت تغالط نفسها، لم يكن الأمر بسبب تآمرها، بل لشيء آخر، ربما لاسعاد بلايز.

* * *

قال جوناثان بانزعاج: «ارجوك، اسكتي هذه التفاهات.»

أمسكت جاني بالمتحكم الآلي للتلفاز وأوقفت عرض الفيلم الذي احضره جوناثان معه.

«اتريد المزيد من الشاي ام الفشار؟»

«ما زال فنجاني ممتلىء.» ورشف رشفة منه.

كانت تعلم بأن شيئاً ما يجول في خاطره، لأن من عادته الجلوس لساعات لمشاهدة الأفلام التافهة.

ثم قال فجأة: «لم تخبريني بأن مديرك بهذا المنظر.»

سألت باستهزاء: «بأي منظر؟»

«ما هذا يا جاني؟ تعلمين بأنه ملفت للنظر، حتى اسنانه تبدو رائعة.»

«آه، الم اذكر لك يوماً بأنه وسيم؟»

«أنت تعلمين بأنك لم تفعلي. ظننت بأنه عجوز، حتى اني تخيلته يدخن السيجار ويصرخ.»

قالت ممازحة: «الأخيرة صح. إنه يصرخ باستمرار.»

«لست افهم لما تخفين هذا عني.»

فكرت بحيرة بأن وقت الشجار قد حان. ثم قالت: «لم أظن بأنك ستهتم بمظهر مديري ولا حتى بأي شيء يختص بعملي.»

تمتم قائلاً: «بل يهمني. خاصة الآن.»

«لماذا خاصة الآن؟»

«لم يعجبني ذلك الرجل، ولا يعجبني عملك معه.»

لسبب ما أحست برغبة للدفاع عن بلايز، فقالت: «ما الذي لا يعجبك به، بالتحديد؟»

«أنا فقط لا أحب هذا النوع الضخم.»

«هل انت مهدد من بلايز.» سألته، رغم أنها تعلم بأنها لن تلومه لو كان كذلك.

وتذكرت قول بلايز: «الطبيب الهزيل الصغير استطيع ان اكسره إلى قطعتين كقلم رصاص.»

صرخ جوناثان مستنكراً: «مهدد من ذاك؟ لا بد وانك تمزحين. أعلم هذه الأنواع، لربما لديه براد مليء بالمأكولات الجاهزة ويعارض دائماً افكار اصدقائه.»

أحست برغبة جامحة في احباط رأي جوناثان: «آه. إذن الرجال الذين يقومون بأعمال تتطلب جهداً جسدياً هم وقحين وفظين، اهذا ما تعنيه؟»

«افترض ذلك.»

ذكرته قائلة: «والدي كان مقاول بناء.» للحظة صممت على ان تطلعه بأن والدها هو سبب ذهابها للعمل عند بلايز، ثم عدلت عن ذلك.

«جاني، آسف. لا تكوني شديدة الحساسية. لربما افزعني، أنت لا تجدينه جذاباً أليس كذلك؟»

«جوناثان، هنالك العديد من الرجال الجذابين، عليك ان تثق بي اكثر. أنا لست ممن يرمون بأنفسهم عند أي رجل جذاب يرونه.»

ثم تساءلت بينها وبين نفسها ان كانت تستحق الثقة التي طلبتها من جوناثان.

الفصل السادس

«أظن بأن الطبيب كان قد طلب منك أن تستريح لعدة أيام.» قالت جاني بهدوء من خلف بلايز.

لقد حضرت باكراً بينما كان هو قد سبقها. بدا رائعاً في سروال الجينز الباهت والقميص الأسود، بينما يده اليمنى ما زالت ملفوفة بالضماد الأبيض.

أجاب مستهزأً: «الأطباء ربما يستريحون فيما لو جرحهم مسمار.»

ربما كان كلامه نوعاً من الاستهزاء لجوناثان.

بدا شعره رطباً وكأنه أخذ للتو حماماً. نظرت باهتمام زائد إلى يده.

«هل استطعت أن تلف يدك مرة ثانية بعد أن اخذت حمامك؟»

«لم أفك الرباط. وضعت يدي داخل كيس من البلاستيك لأحميها من المياه.»

«هل وجدت المهدئات؟ لقد تركتهم على...»

قال باستخفاف: «لقد وجدتها.»

«هل تناولت الجرعة؟»

«أنظري يا جاني، الرجال الحقيقيون لا يتناولون العقاقير.»

أجابت بحنق: «انني فقط اسألك إن تبعت اوامر الطبيب.»

«لا، لم اتبعها.»

«آه؟ ولماذا؟»

«لا أحب الأوامر، أنا فقط من يأمر.» قال ذلك دون أن يعتذر.

ثم تابع: «تحتاجين للفطنة أثناء عملك. وأن لا تقومي بعمل غبي.»

«آه.» قالت وهي تزن المقطع الثاني من كلامه.

استدار وحدق بها قائلاً: «وهل أنا فعلت ذلك؟»

«بلايز، الطبيب اعطاك جرعة كبيرة من المسكن...»

«أجيبي على سؤالي، هل تصرفت انا بغباء؟ وهل تفوهت بأشياء لا تذكر؟ هل فعلاً...؟» وتسمرت عيناه على شفتيها.

أجابته مطمئنة: «كلا، لم تفعل.»

هتف قائلاً: «رائع. هل تحققت من وضعي؟ أريد أن اتفحص ذلك الجدار أظن بأن الاضرار، ليست جسيمة.»

«يظن كلارنس بأن احداً قد عبث بالأربطة.»

«ربما قلت أنا ايضاً نفس الشيء لو ان واجبي كان الاهتمام بتلك الاربطة.»

قالت بحرارة: «لا أظن بأنه يحمي نفسه. إنه ليس كذلك.»

سألها بحدة: «ما بك؟ هل تريدين أن تجعلي من كل الناس ابطالاً؟ وتكوني وديعة كل الوقت ولطيفة؟ ليموناضة وشطائر...»

قالت بجفاء: «كلمة شكر بسيطة تكفي.» وأحست بجرح عميق تلاشى معه شعور لطيف منها ناحيته.

«إن كنت تودين الشكر، ايتها الممرضة فلورانس نايتنغيل، إذهبي للعمل في مستشفى تحب الفظين

والقساة هنا. انها خدمة كبيرة لنا، فهذا ليس مكاناً للقلوب الرقيقة يا ببسكويك.»

«هل عدت إلى ذلك؟»

«لمعلوماتك، لم اتوقف عن ذلك.»

قالت منتقدة: «سيء جداً انك لا تحب العقاقير. لقد غيروا من سلوكك. كنت ممتعاً للرفقة.»

أخرق، هكذا سمى نفسه حين ابتعدت عنه، وأحس بالنار تلتهب في يده. كان عليه أن يتناول تلك العقاقير، ولكن تباً، إنه لا يستطيع أن يتذكر شيئاً عن تصرفاته أمس. أحس وكأنه غبي. جاني زهرة برية. لا يريد أن يدع دفاعه يخذله، إن العقاقير دائما تنهكه.

تباً، كان عليه أن يشكرها على الشطائر، لقد استيقظ ووجدها قرب تلك الليموناضة الباردة، لقد مضى وقت طويل ولم يعتنِ به أحد، أو حتى سمح لأحد بذلك.

إنه احساس لا يستسيغه، ولا يريدها أن تعرفه عنه. إنها حتى لا تطيقه. إنها ستتزوج من طبيب اسنان غبي يستطيع أن يكسره إلى قطعتين كقلم رصاص، ولكنه مع غبائه يستطيع ان يقول لها شكراً وآسف.

لما يهتم لربما تزوج هو ايضاً، ميلاني تلمح بذلك وإن تزوج في كانون الأول (ديسمبر) سيعفى من الضرائب. ميلاني لا تريد انجاب الاطفال، ولا تعرف خبز الحلويات. الآن اصبح ناضجاً بما فيه الكفاية ليعرف الفرق ما بين الحلم والحقيقة، فالأحلام اشياء تحفظ في الذات تعيش وتختبيء بخصوصية وسريّة تامة، ولكن من الخطير جداً الإيمان بها.

رآها تحيي مورس وتناوله كيساً بنياً صغيراً. نظر في داخله وابتسامته تملأ وجهه، ثم تناول منه قطعاً من البسكويت بالشوكولا المصنوع في المنزل وابتلع الكمية بمضغة واحدة.

لو لم اتصرف بغباء، لكنت مثله آكل البسكويت الآن.

«أنت، إن اردت ان تفتحي دكان للحلويات، هيا افعلي.» ثم صرخ: «ولكن إن اردت العمل لدي من الأفضل أن اسمع المطارق تطرق الخشب، خلال ثلاث ثوان اريد الجدران الداخلية بأن تكون منتهية حالاً.»

مشى والأرض تهدر من تحت قدميه نحو الجدار الذي سقط ونظر إلى الأريطة وقال: «مورس هل تلك هي نفس الأربطة والمشابك التي استعملناها بالأمس؟»

«نعم.»

تحسس بلايز الخشب، هل يعقل أن يكون احداً ما قد عبث بعمله؟ هذا مستبعداً ولأي سبب؟ فقط اطفال يعبثون ليلاً؟ هل يعلمون عواقب ما يفعلون؟ وبأنهم سيتسببون بقتل شخص ما؟

أحس وكأن فيلاً يقف بكل ثقله على رجل واحدة فوق يده.

جاني تسيطر على الأمور في الداخل، انها تستحق فعلاً الاثني عشر دولاراً في الساعة، واكثر لو تجلب معها الحلويات المنزلية، بينما كلارنس يعمل كعبقري.

عندما اشتد الألم، مشى بلايز نحو الشاحنة وصعد اليها مغادراً.

* * *

«نعم يا سيد هاملتون، تمت الموافقة على المنحة، فقط دعني اجد الملف.»

نظر حوله في مكتب العمل، إنه المكان المناسب لعمل المرأة. دافيء ونظيف، آمن، ومتحضر، أثقل حمل يتوجب عليها حمله هنا هو مكبس الأوراق.

فكر بينه وبين نفسه: «ربما جاني ستكره هذا المكان، لأنني أنا أيضاً اكرهه.»

«يبدو أن هنالك مشكلة يا سيدي.»

تمالك اعصابه، لماذا هنالك دائماً تعقيدات في المعاملات المتعلقة بالحكومة؟

«ان الكومبيوتر لا يتقبل الآنسة سميث.»

السيدة، صحح كلامها في ذهنه، قريباً ستصبح سيدة. قال في نفسه بحسرة.

«رقم الضمان الاجتماعي ربما لم يكن صحيحاً، تحقق لو سمحت واحضر لنا الرقم الصحيح.»

«نعم، بالتأكيد.» وضع الأوراق في جيبه، ولأول مرة في حياته بدأ يبحث عن عذر لنفسه حتى لا يعود للعمل.

عاد يشعر بقدم الفيل تضغط على يده، بإمكانه العودة إلى المنزل ويأخذ حبتي مهدىء ويرتاح لفترة بعد الظهر.

لكن بالأمس المسكنات التي تناولها جعلته يحلم باحلام مزعجة. ربما عليه العودة إلى العمل. إن لم يستطع اخراجها من ذاكرته على الأقل سيلتهي بالعمل عن آلام يده.

* * *

«بلايز، ايها المدير، أريد التحدث إليك.»

كان الوقت، وقت الغداء، كان يفوح من مورس رائحة البسكويت بالشوكولا.

قال مورس: «لقد قمت بعمل غبي.»

نظر بلايز بسرعة نحو منشاره وقد بدا قطعة واحدة كما ان الشفرة بدت بخير.

قال بلايز في نفسه محذراً: اهدأ، لا يمكن أن يكون الأمر خطيراً.

«أتذكر بأن جاني اخبرتني عن صديقتها؟»

«نعم أذكر.»

«حسناً، لقد اعطتني رقم هاتفها، بقيت ثلاثة ايام لأستجمع قواي، إلى ان اتصلت. اتصلت بها أمس. ولقد تواعدنا على ان نلتقي هذه الليلة.»

«عظيم.» وربت على كتف مورس مهنئاً، وقد ارتاح نفسياً بأن الأمر لا يعني أية خسارة مادية له. «على فكرة، العمل جيد فيما يتعلق بالجدران. أنا...»

«بلايز، ماذا سأفعل الآن؟»

«ماذا تعني بماذا ستفعل الآن؟»

«لم اواعد فتاة في حياتي يا بلايز.» كانت الحيرة بادية في عينيه، وطأطأ مورس برأسه.

سأل بلايز مستغرباً: «أبداً؟»

«أنظر إليّ، بلايز، من ترغب بالخروج مع غوريلا؟»

نظر إلى الرجل الذي عمل عنده لمدة سبع سنوات، لكنه لم يرَ فيه لا الغوريلا ولا حتى مورس.

«ماذا تريد أن تعرف يا كلارنس؟»

جلس كلارنس محبطاً، ثم قال: «كل شيء، ماذا سأفعل وماذا سأرتدي، وماذا أقول؟ هل استطيع ان اقبلها؟ أو هل امسك بيدها؟»

كانت نظراته حائرة وهو يتابع قائلاً: «حتى أنه لا ملابس لدي، فقط ملابس العمل. ملابس للورش.» ثم وقف كلارنس متضايقاً وقال: «فقط سأقول لها لا، لا استطيع. سألغي الموعد قد يكون من الأفضل، صح يا بلايز؟»

شك بالأمر، فلو سأله منذ أسبوع عن رأيه لكان سيقول للتو صح، وابتعد كلارنس. لكن بدا لبلايز فجأة بأن الغشاوة قد ازيلت عن عينيه، لقد رأى بوضوح الوحدة والحيرة في عيني كلارنس، والخوف من أنه لا يصلح، وبأنه ليس كغيره، وليس بإمكانه الحصول على ما يحصل عليه غيره.

علم فجأة لماذا هو وكلارنس قد عملا معاً لسبع سنوات، لأنهما متشابهان، عبر السنين اصبحا صديقين دون معرفتهما بذلك، إنه يهتم لأمر كلارنس.

لقد دهش فعلاً لاكتشافه الحقيقة.

«الليلة، إذن؟ أظن بأن وقتنا ضيق. هيا، سنذهب لاجلب لك بنطالاً جديداً وقميصاً مناسباً. هل ذهبت من قبل إلى مزين للشعر وقصصت شعرك؟»

كان كلارنس ينظر إليه باستغراب، وهو يقول: «اتعني الآن؟ بالرغم من كل هذا العمل؟»

«انظر، لا تخبر احداً بأنني قلت لك ذلك، هناك ظروفاً خاصة تكون احيانا أهم من العمل. جاني تسيطر على الوضع هنا، على أية حال.»

«بالطبع هي كذلك، إنها تعرف الكثير، أليس كذلك؟»

تمتم بلايز: «في الواقع لابأس بها.»

«اتعتقد حقاً بأنني بحاجة إلى أن اقص شعري عند المزين؟ عادةً أنا من يفعل ذلك.»

لأسبوع مضى كان سيقول: «هذا واضح.» لكنه اليوم قال «اظن لمناسبة خاصة باستطاعتك الاستغناء عن عشر دولارات.»

«آمل بأن تكون صديقتها تجيد صنع الحلويات.» قال كلارنس ذلك بسعادة.

كانت الساعة تقارب السادسة حين عاد بلايز إلى الورشة، فكر بأن يعمل لساعة او ساعتين قبل المغيب، استعمال المطرقة باليد اليسرى قد يكون تحدياً.

شيء ما بخصوص سعادة وأمل كلارنس، أمله، اوجد فراغاً ما بداخل بلايز أراد أن يملأه.

وقف يتأمل ذلك المنزل من بعيد، انه جيد نوعاً ما، ثم سمع صوت طرق مطرقة واحدة، يا للمرارة، كانت ماتزال هناك.

مشى على مهل نحو التلة ثم إلى داخل البناء، نظر حوله حين دخل المنزل، فسر لما رآه، انشرح للتقدم الذي حصل أثناء غيابه، وتيقن بأنه لم يوظف من قبل أحداً اظهر مثل هذه الكفاءة. تساءل لماذا؟ من المفروض أنه لا يحب أن يتخلى عن سيطرته، وهو يمارس هذا العمل ليملأ مساحات حياته. كلما عمل اكثر، كلما احس بإرتياح اكثر.

لم يكن متأكداً إن كان يحب ان يعرف ذلك عن نفسه.

«مرحباً.» هتف قائلاً، حتى لا تتفاجأ بوجوده وقد جاء من خلفها. نظرت فوق كتفها ثم تابعت عملها. الضوء في تلك الفترة من النهار رائعاً ذهبياً يطفي جواً هادئاً على هيكل المنزل.

قال بلطف: «لقد حان وقت الانصراف، وانتهى الدوام.»

حاولت جاني عدم النظر إليه وهي تقول: «لم انتبه لذلك، فأنا أحب هذا الجزء من البناء.»

«أنا أيضاً، لأنه يصبح بإمكانك رؤية الأشياء وهي تتكون.»

«أين ذهب كلارنس لفترة بعد الظهر؟»

«آه، لديه اهتمامات خاصة كان عليه تأديتها.» آخر ما كان ينقصه هو الاعتراف لها، بعد كلامه الجاف والفظ هذا الصباح، بأنه امضى فترة بعد الظهر يدرب كلارنس الخائف على كيفية التصرف خلال موعده الأول مع امرأة.

«بلايز، قمت بعمل خاطىء بعد ظهر هذا اليوم.» ثم ادخلت المطرقة في جعبتها المربوطة على خصرها، ثم أخذت نفساً عميقاً واستدارت لتواجهه.

قال متأملاً: «هل سأحظى اخيراً على سبب لطردك؟»

«لا أظن بأنك ستفعل، فأنت تعاني من نقص بالعمال.» أخذت نفساً عميقاً مرة اخرى ثم تابعت: «عندما سقط الجدار أمس حاولت أن اسأل تافي بعض الأسئلة بشأنه، فتمنع عن قول أي شيء.»

«انه لا يقول أي شيء أبداً، هذا هو حاله.»

«ظننت بأنه يخفي شيئاً ما.»

«تافي؟ لا. انه هادىء. ربما قاس وجاف، لكنه لا يؤذي أحداً، وهو مخلص دائماً. اقترفت غلطة ذات مرة بالشيك خاصته - دولارين زيادة - فأحضرهم لي في اليوم التالي.»

فكرت في انه في بعض الأحيان يبدو بلايز دون شفافية

في الشعور، ومع ذلك إنه يتعاطف مع تافي إلى أبعد الحدود اكثر منها. ربما كان على حق دائماً، ربما المرأة لا تمت إلى عالم العمال بأية صلة، إنها تتكلم بلغة غير لغتهم. تافي وبلايز يتفاهمان دون أن يتكلما.

«اجبرته على التكلم عن الموضوع وحين تمنع طار صوابي.»

«طار صوابك؟» ونظر اليها بعينين ثاقبتين.

«و ضغطت عليه...»

«بلسان سليط كلسانك، طبعاً.»

«بلايز، لقد غادر!»

«ضيقت الخناق على الرجل المسكين حتى ترك عمله؟»

أجابت بحزن: «بالضبط.»

بدأ بلايز بالضحك وهو يقول: «استطيع القول بأني اشفق عليه. أظن بأنه الانسان الوحيد البريء في هذا المكان.» كان يريد أن يقول بأنه الانسان الوحيد المحصن ضدها، ولكنه لم يفعل.

««ألست غاضباً؟»

«لا.»

«لما لا؟»

«اتودين بأن اكون كذلك؟»

«أشعر بارتياح لو كنت غاضباً، بدلاً من أن تقف وتنظر إلي وكأني شيء ممتع.»

«تبدين رائعة حين تعترفين بخطئك.»

قالت وهي تبتلع بريقها: «هذا افضل. على الأقل هذا يميزني. الست قلقاً على نقص الرجال في العمل لفترة؟»

«ربما سيعود، العصبية موجودة دائماً في مثل عملنا يا جاني. لا يقلقني وضع كهذا.»

«ماذا إن لم يعد؟»

«سأمر وأراه إن لم يحضر غداً. لم لا تعودي إلى المنزل الآن بعد أن ادليت باعترافك؟»

قالت بجفاف: «شكراً، أيها المرشد الاجتماعي، إن لم يكن لديك من مانع سأبقى قليلاً أود أن انهي الجدران الداخلية اليوم.»

«لا أدفع ساعات اضافية.»

تململت قائلة: «لا يهم.»

تبأ، ان الرجل النشيط الذي كان يحلم به كان امرأة! قال: «وليس مطلوب منك أن تكفري عن ذنوبك.»

«أحب ذلك.»

سألها برقة: «تحبينه؟»

«أحب العمل، أحب أن أكون في العمل في هذا الوقت من النهار.»

«أنا ايضاً.»

جنباً إلى جنب بهدوء مريح، انهيا الجدران الداخلية. كانا يعملان في الظلمة حين انتهيا من دق آخر مسمار، قال لها: «هيا، لنذهب ونلتهم الهامبرغر.»

سألته: «تعني سوياً؟»

«بالطبع، حتى أنني سأدفع.»

علقت قائلة: «انجاز عمل كثير يوازي مفعول جرعتين من المهدئات.»

قال مؤكداً: «أجل، سأتذكر ذلك.»

«كيف حال يدك؟»

«سأعيش.»

«هل تؤلمك؟»

«نعم، تؤلمني، ولكنها لن تثنيني عن تناول ثلاثة قطع من الهامبرغر، والبطاطا المقلية ايضاً. اصعدي إلى الشاحنة.»

«لماذا لا يحب الرجال الاعتراف بأنهم يتألمون؟» قالت ذلك وهي تصعد إلى الشاحنة.

«كوب كبير من العصير ايضاً.»

«لم تجب على سؤالي.»

«لأن النساء لا ينجذبن للرجل المتألم الذي يتلوى على الأرض من الألم.»

«هذا أمر سخيف.»

«انها الحقيقة.»

قالت له: «الرجال يتصرفون تبعاً لاقتناعهم بمتطلبات النساء.»

«انظري يا رانت، أنت تحورين كلامي، وتعقدين الأمور. الرجال يتصرفون بشهامة، لا اعلم لماذا، على اية حال لا اريد افساد شهيتي قبل الأكل.»

وصلا المكان الذي كان تقليدياً وعلى الطراز القديم، فقالت وهي تلتهم الهامبرغر: «ليس بالضبط للألم النفسي، اليس كذلك؟»

«إن كان الوضع سيقلقك، إذهبي واجلسي في الشاحنة.»

«لست قلقة، بالتحديد. أنا فقط...»

«انظري، في آخر زيارة لي للطبيب، قال لي بأني افضل

حالاً من ملاكمين اثنين كانا من زبائنه، كما أني استطيع أن اردي رجلاً اصغر مني بعشر سنوات ارضاً.»

«ليس من الضروري أن تحول أي تعليق إلى حرب عالمية ثالثة.»

اطرق وقال: «أنت محقة، لا داعي لذلك. أخبريني عن نفسك كيف تعلمين كل هذا الأمور عن البناء؟»

«كان والدي متعهداً.»

«حقاً؟ من هنا؟ ربما عرفته.»

كذبت بسرعة: «ليس من الجوار، بل في الشمال. على كل حال، لدي ثلاث اشقاء لذلك غدوت هكذا. لقد عملوا مع والدي في العطلات المدرسية والعطلات الصيفية، وكذلك أنا، لم يعجب ذلك والدي في البداية...»

علق بلايز: «مثلي.»

«لكن الوضع اعجبني، استطيع الحصول على مدخول افضل من العمل في مجال البنات كرعاية الأطفال، وأحب عملي. أحب التواجد في الهواء الطلق، أحب كل ما ذكرته سابقاً، احس بقوة وأشعر بالعافية بعد العمل الصعب.»

«من أي بلد أنت في الشمال؟»

«تورنتو.» اختلقت الكذبة، وما كانت تعرفه عن، تورنتو كان بطاقة معايدة تلقتها من صديقه لها.

«حقاً؟ في أي جزء من تورنتو؟»

قضمت قضمة كبيرة من قطعة الهامبرغر كي تستطيع التفكير خلال مضغها.

ثم قالت: «من وايلدوود.» ولم يكن لديها أدنى فكرة إن

كان لهذا الاسم من وجود في تورنتو، وأملت بألاّ يكون له أيضاً أية فكرة. انها لم تعتد على قول الأكاذيب ولطالما افتخرت بصدقها.

«ماذا عنك يا بلايز؟ كيف امتهنت هذا العمل؟»

اجاب ببساطة: «اردت ان أجني المال بسرعة.»

غاص قلبها، المال. هل هو رجل يفعل أي شيء لقاء حصوله على المال؟ على كل، انه لا يبدو كذلك؟ ألم تأتي للعمل عنده متسلحة بهذه المعلومة عنه؟

«لا استطيع تحمل العمل في الداخل، اشعر وكأنني تمر في قفص. هل تتصوريني جالس خلف مكتب؟»

اعترفت قائلة: «لا، لا استطيع.»

«ميلاني تستطيع، تظن بأنني يجب أن ادير الأمور فقط واقوم بتلزيم العمل كله. استطيع انجاز بيوتاً اكثر بهذه الطريقة.»

«إذن، الأمر لا يتعلق فقط بجني المال.» علقت بمتعة لا تعرف سبباً لها.

بادلها ابتسامة عابرة وقال: «لا تطلعي احداً على هذا الأمر، أجل، أظن ذلك. فأنا أملك كل هذه الحيوية والنشاط ولا استطيع الجلوس هكذا، فأنا دائم الحركة وهذا يمنحني رضى تاماً.»

ضحكت وقالت: «كما يمنحك حياة افضل من الآخرين.»

«نعم، لا أجد متعة بالأعمال الأخرى التي تجبرك احيانا الى التحوّل...» وتحولت عيناه فجأة إلى ساعة يده وقال: «آه، تباً، لقد نسيت كان المفروض أن اواقي ميلاني للعشاء هذه الليلة.»

أعادت الهامبرغر إلى الصحن امامها وقالت: «آه، لا!»

قال متململاً: «وأنت ايضاً؟»

«من المفروض أن ألاقي جوناثان في تمبر...» ونظرت إلى ساعة يدها وتابعت: «منذ ثماني دقائق.»

«استطيع ان اوصلك في ظرف خمس دقائق.»

«لا يمكنني الذهاب بهذه الملابس.»

«إلى تمبر، هذا صحيح. عليك تبديل ملابسك. كنت سأجلب ميلاني إلى هنا، إنها تكره هذا المكان.»

«لِمَ تحضرها إلى مكان تكرهه؟»

«حاولت معها في أن تحبني كما أنا دائماً.»

«لكن لم تضغط عليها؟» لماذا كانت تدافع عن ميلاني؟ مع أنها، لم تسمع شيئاً جيداً بخصوص صديقات بلايز.

«اعذرني سأذهب لأجري مكالمة هاتفية.»

اتصلت بجوناثان. كان متفهماً ولكن بقسوة، اخبرته بأنها ستوافيه في وقت متأخر لتناول شراب منعش ولكنه رفض.

«باستطاعتك ارسال الزهور إليه دائماً.» اقترح بلايز عندما عادت ليستقلا الشاحنة، متوجهان إلى الورشة ثانية لتجلب سيارتها.

نظرت إليه، كان مسروراً لإغاظة جوناثان وغير مهتم لفوات موعده.

«ماذا قالت ميلاني؟»

«قالت بأنني أناني، لا أهتم إلا بنفسي وشتمتني، قالت ذلك تسعة عشر مرة وبست لغاتٍ مختلفة.»

انفجرت جانبي ضاحكة ثم قالت: «وهل يزعجك ذلك؟»

«انني في الحقيقة، لست عظيماً في تصريف مثل هذه الأمور، كأن اكون لطيفاً ومتذكراً.»

«لا أظن بأن ذلك صحيحاً.» قالت ذلك، ثم امرت نفسها بالسكوت. لأن ما كان يقوله، كان صحيحاً مئة في المئة.

لكنها تابعت متجاهلة ما أمرت به نفسها: «أظن بأنه ربما أنك لم تلتق بعد بالشخص المناسب. لا أظن بأن الحب عمل جبّار يستلزم كل الوقت لاتمامه.»

سأل مستفسراً: «هل هذا ما تشعرينه حيال جوناثان؟»

تفاجأت بهذا السؤال، لكنها اقرت بعد ان كاد الصمت يفضح افكارها: «نعم.»

أكدت بأنها كذبة أخرى أطلقتها هذه الليلة من بين الأكاذيب الأخرى.

«قبل أن أنسى.» وأخرج مجموعة أوراق مطويّة من جيبه ثم قال: «أهذا رقم ضمانك الاجتماعي؟»

تفحصت الأوراق ثم قالت: «نعم.»

«المغفلين في المكتب قالوا بأن الكومبيوتر يرفضه.»

المشكلة ليست في الرقم، فكرت بحزن، وبالكذبة الأخرى التي قامت بها، ذلك لأن اسمها ليس جاني سميث كما ادّعت.

ذهبت لزيارة والدها ذلك المساء. بدا أسوأ من ذي قبل. يتعلق بالحياة بخيوط رفيعة.

عادت إلى منزلها، وغرقت بالنوم على الأريكة، بينما كانت تشاهد فيلماً من انتاج الاربعينات. استفاقت والدموع تملأ وجهها، كانت تحلم والحلم كان عن احداث الثماني سنوات الماضية.

كانت في عمر السادسة عشر عندما كانوا يتناولون العشاء. مائدة العشاء كانت تضج بالضحك دائماً حيث أن والدها واشقائها يتبادلون المزاح والنكات معها ومع والدتهم. قرع جرس الباب في تلك الاثناء، وقالت جاني: «سأفتحه.» ثم ذهبت وفتحت الباب.

كان يقف هناك، بجثته الضخمة. قلبها المراهق اصدر اصواتاً كالطبول. ابتسمت له، ورمته بنظرات ناعمة، لم يهتم بذلك وبقيت ملامح وجهه جامدة. قال: «اريد التحدث إلى سام ساندستون آلان.»

تفاجأت. لا أحد يدخل منزل سام ساندستون ويصدر الأوامر.

أدخلته، ثم غابت وعادت مع والدها، وقفت جانباً بينما توجه والدها للسلام عليه.

«بلايز! إنها مفاجأة! هل من خطب في العمل.»

«نعم يا سيدي هناك من خطب.»

ما الذي كان في عيني بلايز هاملتون حينها؟ محاولة قتل؟ والدها؟ وبدأت تكره بلايز هاملتون منذ ذاك.

رأت والدها، الذي لم يضطرب يوماً، مضطرباً.

«أدخل غرفة المكتب يا بني، سنتكلم بالأمر.»

لم تتمكن من سماع أي شيء، ولكن بعد فترة بدأت الأصوات تعلو، أو أن والدها هو من فعل، والدها صرخ كثور مذبوح. صوت الرجل الآخر كان بارداً، واثقاً، مميتاً. تذكرت كل ذلك.

غادر بلايز هاملتون بعد بضع دقائق بوجه ثابت التعابير.

لم تعلم مادار بالضبط من كلام في المكتب تلك الليلة. كل ما تذكره هو أنه لم يتكلم أو يضحك بعد ذلك حول مائدة العشاء، علمت فقط أن سعادة العائلة تبخرت بسرعة مدهشة وكذلك صحة والدها. بدا مضطرباً ومتعباً، وغالباً ما تمتم بأن بلايز هاملتون دمره، دمر احلامه حيال عائلته. بعد عدة ايام من تلك الليلة بدأ بسلسلة نبجات قلبية أخذت تتعبه على مدى ثماني سنوات.

لم تسأله جاني عما جرى في تلك الليلة، لكن في داخل قلبها، أحست بأنها تعلم. الرجل المخيف هدد والدها الرائع، الذي منعته كبريائه حتى النهاية عن البوح لها بتفاصيل ما جرى.

لربما، وهذا ما كانت تعتقده دائماً، بأنها لو انقذت شيئاً من كرامة والدها التي خسرها في تلك الليلة، لكانت ساعدته على استعادة الأمل، وبوقوف بلايز امام العدالة، كان سيستعيد طعم الحياة بعد الذل والهوان اللذين ذاقهما، عليها أن تمسك به و بلعبته. لقد اقتربت من الهدف يوم باشرت تعمل لديه.

* * *

«بلايز كنت مخطئاً بخصوص السينما.»

«مخطئاً بخصوص السينما؟» سأل بلايز العامل كلارنس بضياع.

«قلت لي بما انه لن نجد ما نتكلم، ان آخذها إلى السينما، ولكن كان هناك الكثير من الكلام للتحدث به، لم نقترب حتى من دار السينما.»

لكن بلايز لم يكن منصتاً لكلارنس، كان ينظر إلى جاني، ولاحظ انتفاخ عينيها، وعلم بأنها امضت الليل باكية.

لا شك بأن طبيب الأسنان ذاك قد ازعجها لنسيانها موعده السخيف، عليه التحدث إلى ذاك الشقي.

قال في نفسه: بالتأكيد يا بلايز، أنت من سيفعل ذلك، فأنت الخبير بالرومنسية.

سأل كلارنس: «هل ستراها ثانية؟»

«نعم، سنلتقي ليلة السبت.»

الفصل السابع

«كلارنس، تبدو رائعاً.» قالت جاني للرجل الضخم، محاولة نسيان ما يؤلمها.

«شكراً، لقد قصصت شعري عند المزين، لأول مرة أقوم بذلك.» وضحك مطولاً.

«كيف سارت الأمور؟»

قال واثقاً من نفسه: «مايبل أحبتني حقاً.»

سألت جاني مبتسمة: «هل احببتها أنت؟»

«آه، طبعاً.»

انتظرت حتى ينفجر بلايز غاضباً وهو يناديهما إلى العمل، لكنه كان ينظر اليهما بصمت.

«لا تبدين متحمسة اليوم يا جاني، ولا حتى سعيدة.»

«والدي مريض جداً الآن يا كلارنس.» ثم تابعت لا شعورياً منها: «في بعض الأحيان اشعر بالتعاسة.»

«آه، يا جاني، وما به؟»

«يعاني من مشاكل في القلب منذ عدة سنوات. إنه في المستشفى الآن.»

«هذا صعب يا جاني.» النظرة في عينيه اوضحت أن له قلب كبير وعطوف، وتابع: «أنا بتصرفك لو احتجت لأي شيء.»

«شكراً.» لمست يده عرفاناً بالجميل ووضع يده الكبيرة فوقها للحظة قبل أن يعود لعمله. حوّلت نظرها نحو بلايز،

إنه الشخص الوحيد القادر على انقاذ والدها مما هو عليه. بإمكانه مساعدته بأن يغرق هو ايضاً في نفس الوضع.

سأل كلارنس محدثاً: «هل أخبرتك بأن بلايز ساعدني بانتقاء ملابسي لذلك الموعد؟»

«بلايز فعل ماذا؟»

«لقد اخذني إلى محل مرتب وانتقى لي جينزاً وقميصاً للموعد، انتقينا لوناً كحلياً داكناً.»

«بلايز ساعدك لتستعد للموعد؟» وحدقت بكلارنس غير مصدقة. بلايز المخيف؟

«أجل، حتى أنني لم أكن أعلم ما أقول، أرشدني قليلاً.»

سألت جاني: «كيف فعل ذلك؟»

«آه، قال لي بأن أسألها عن نفسها وعن حياتها.»

«حقاً؟»

ان بلايز ناعم كالأفعى، ومتسلل، وخطر.

أي نوع من الرجال هو، الذي يعطي شخصاً آخر وقته واهتمامه كالتي منحها لكلارنس أمس؟

ألم يكن هذا خوفها من بلايز لوقت طويلا؟ أن يكون رجلاً حسناً وسيئاً في آن معاً؟

لم تحب ذلك، أزعجها وضعها المتارجح داخلياً. ترى من يكون؟

عادت تنظر اليه ثانية، هناك مفتش للمباني كان قادماً نحوه وخرج بلايز لملاقاته.

ضاقت عيناها، لم تصدق ما كانت تراه، أرادت أن تشيح ببصرها، ولكنها لم تستطع. كان هذا بالضبط ما كانت تنتظره. لماذا هي متضايقة بدل أن تكون مرتاحة؟

لماذا عظمت الحيرة في داخلها بدلاً من أن تنطفىء؟

أخرج بلايز محفظته. هنالك، في وضح النهار، رأته يقدم للمفتش اوراق الضرائب. كانت بعيدة فلم تستطع ان تتبين الأمر، رغم أن هذا الجزء لا يهم.

استدارت لترى إن كان كلارنس يتابع ما يجري ولكنه كان غارقاً في عمله، عادت لعملها وأحست بأن ثقل العالم كله على كتفيها.

ما الذي سيحدث بعد ذلك؟ ماذا ستفعل الآن؟

* * *

«عمت صباحاً يا بلايز.»

«أهلا، كال.» هو وكال كبرا معاً في هذه المنطقة، مع ذلك لم يكونا اصدقاء في الواقع، ولكن هناك رابط من الاحترام بينهما.

«لم أرد أن اتفحصها يا بلايز. أعلم ما هي نوعية عملك.»

«واجهت عوائق وخيمة، اقوم بتفحص كل شيء صباحاً خوفاً من المشاكل.»

«أية عوائق وخيمة؟» قال كال وقد رفع حاجبيه متعجباً.

قال بلايز: «انها مشاكل على قدر من الأهمية.»

«هل ستطالب الشرطة؟»

«إن حصل ذلك ثانية، سأفعل. من يدري؟ ربما كان ذلك سوء حظ.»

«ربما.» وعندما استدار كال نحو البناء، هتف قائلاً: «أرى ان الفتاة ماتزال هنا.»

«أجل.» لسبب ما، كان يتضايق حين يسمي احدهم

جاني بفتاة. وكأنهم لا يعرفون قيمتها دون النظر إلى حجمها.

توجه بلايز بعد ذلك نحو كلارنس وسأله: «ماذا بها جاني اليوم؟ هل تشاجرت مع طبيب الأسنان.»

«لا تبدو طبيعية اليوم.» ونظر كلارنس إليها بنظرة ملؤها الاهتمام ثم تابع: «قالت بأن والدها مريض وهذا يحزنها.»

علم بلايز عند ذلك أن ما يزعجها ليس علاقتها بصديقها وأسف لخيبة أمله.

حزنها على والدها حركت في صدره شعوراً قوياً بأن يذهب اليها ويضمها إلى صدره ويدعها تبكي بين ذراعيه.

رفعت جاني نظرها لترى تافي قادماً إليها. ارتاحت لرؤيته يعود وكذلك خافت قليلاً. بدا غاضباً حين غادر أمس، ولكنه لا يبدو غاضباً الآن.

تقدم ووقف أمامها صامتاً.

قالت بعصبية: «صباح الخير.»

مد يده إلى جيب قميصه وأخرج ورقة مطوية. ما تكون؟ اعتراف موقع؟

كانت الورقة زهرية اللون، ومنعت نفسها عن الضحك. فتحت الورقة، ورأت خطاً نسائياً منمقاً ومرتباً وقد جاء فيها: «من الصعب على توماس التكلم مع اشخاص من غير العائلة. فلديه مشكلة في النطق.»

تأملت جاني الورقة مطولاً، وأحست بالكرامة والحب اللذين جاءا في هذه الملاحظة.

أخذت نفساً عميقاً، ثم نظرت إلى توماس. تعابيره مخيفة

وفخورة، ولكنها لم تر في عينيه أي ألم. رأت فيه الطفل الصغير الذي احبّه الأطفال وعومل بقسوة من معلمته.

انفجرت باكية. لم تكن يوماً لتخطأ بحق احد وقد خجلت من نفسها.

تعابير توماس تحولت من مدافع إلى مهتم ثم إلى خائف. ونظر حوله طالباً العون، وعندما لم يجد أحداً، بدا وكأنه متسمراً في مكانه. ولكنه لم يفعل. شيئاً ما في تلك التعابير القاسية رقّ، وبعد برهة من التردد امسك بيدها مواسيا.

«لابأس، لابأس.»

طريقة نطقه دفعتها للبكاء بغزارة. حنانه دفعها للبكاء اكثر. الرجل المسكين واقع في مرض صعوبة النطق. بدا قاسياً حين ترك العالم يعيش في عالمه الصامت. لم يساعده أحد، طبعاً ليست هي، ولا بلايز. كيف لم يعلم ذلك؟ فكرت، بينما شعرت بغضب شديد نحو مديرها.

«أنا آسفة.» قالت بندم، احست بالتعب، بالاحراج، كل الأحاسيس اختلطت عليها، وبدا توماس مستعداً لأن يواسيها حتى تهدأ.

«دعها، الآن.» سمعت ذلك برقة وعذوبة.

نظرت من فوق كتف توماس ورأت ان بلايز قد حضر.

وإلا قتلتك، قرأت ذلك في عينيه.

سحب توماس يده من يدها واستدار ليواجه بلايز.

«بلايز، لا! ليس الأمر كذلك لم يكن توماس يؤذيني.»

«توماس.» قال مستغرباً. «حسناً، ماذا كان يفعل توماس إذن؟ ولربما دافع توماس وتكلم عن نفسه.»

رأت مسحة الألم على وجه الرجل الصغير قبل أن تدافع عنه.

«هل يمكن أن أريه ذلك؟» قالت بلطف حاملة الورقة الزهرية، وتابعت: «أرجوك؟»

حرك توماس كتفيه دون مبالاة وكان ذلك لن يغير من الأمر شيئاً.

«أنظر يا بلايز.» وقدمت له الملاحظة، أخذها وأخذ يقرأها. ملامح العداء تلاشت من وجهه.

«أنا آسف يا توماس.» قال بانسانية بالغة أحست بعدها برغبة بالعودة إلى البكاء. «لم أكن أعلم. فقط علمت أنك وجاني اختلفتما أمس. وحين مررت ورأيتك تمسك بيد جاني وهي تبكي استنتجت اموراً أخرى، آسف.»

أطرق توماس بكرامة وتفهم. علمت جاني فجأة أن توماس يحب بلايز كثيراً، مما زاد في حيرتها.

«أظن بأنني أسأت فهمك يوم عملت عندي لأول مرة وأطلعتني على اسمك.» وتابع بلايز بلطف: «ألم تقل تافي.»

هز توماس رأسه موافقاً.

«سأتذكر بأن أناديك توماس. إن كان هناك أي شيء استطيع أنني افعله لك دعني أعلم. قد يغطي الضمان الاجتماعي نفقات معاينتك لدى اختصاصي، لو رغبت.»

أطرق ممتناً ثم مشى مبتعداً.

«كيف لم تعلم؟»

«أنظري يا سيدتي، بالتحديد في هذه اللحظة لا اريدك أن تخبريني بأنني غبياً، حسناً؟ عادة أكون متنبهاً لكل شيء، ولست فخوراً لما حصل، ولا أريد أن أسمع المواعظ والمحاضرات يا آنسة نايتينغال.»

«انني لست...»

«لا تبدأي بالضغط على ذلك الرجل ليرى الاختصاصي. إن أراد المساعدة، سيطلبها. ولو أراد أن يعلم أحداً بمشكلة النطق لديه لفعل ذلك منذ مدة طويلة. فقد افصح عن وضعه ليحمي نفسه، وليس ليدعوك للتدخل في حياته.»

أجابت بضيق: «تتكلم وكأنني أفعل ذلك حقاً.»

«على فكرة، بما أنك تنوين الفوز بجائزة السنة للاحسان والرفق، لماذا لم تسألي عن اسمي الحقيقي؟»

رددت: «اسمك الحقيقي؟»

«آه، لا عليك لدي زبائن، ولست مستعداً لمناقشتك، كل ما احتاجه هو أن يمر يومي على خير. آلة رفع الأثقال تقف هنا تبتلع مئة دولار في الساعة بينما أنا أدرب المشاعر و الأحاسيس.»

استدار وابتعد عنها، كان يريد أن يقول لها بأنه يأسف لحال والدها ولكنه لم يفعل.

هذا سيبدأ بتدريبه على أن يكون رجلاً حقيقياً.

كانت جاني قد تناولت قضمتين من الفطيرة حين قال بلايز ثلاث كلمات أحست فعلاً بأن أذنيها احمرتا لسماعها. كان يأكل ويتحرك في نفس الوقت. حين حدّق في الشارع ونطق بتلك الكلمات.

«ماذا؟» سألته، ورأته يفقد اعصابه، كما رأته يستجمع كل قواه ربما ليرفع الحائط، أو ليرفع مورس.

ثم قال باستخفاف: «يا له من يوم.»

قالت بحذر: «هل هنالك من خطب مع الملاكين؟»

«ليس مع هؤلاء فقط، بل مع الجميع.»

«لم افهمك.»

«هؤلاء الناس القادمون إلينا بتعابير وجوههم السعيدة.» ثم أشار قبل ان يضيف: «والطفلان اللذان برفقتهم، انهم أناس يبحثون عن أحلامهم. اتستطيعين قراءة افكارهم؟»

ثم أضاف: «هم أيضاً، ينفقون أموالاً اكثر من ذي قبل.»

قالت: «وماذا أيضاً؟»

تمتم قائلاً: «أحلام وأعصاب سيئة، مزيج غريب.»

«لماذا؟»

«عادة تبدأ الأمور مع أية امرأة، بأن المطبخ ليس واسعاً كما تصوّرته، أو هل بالامكان إزالة هذا الحائط؟ اتستطيع أن تضع انواراً مشعة في الحمام؟ ثم بعدها يبدأ هو، هل بإمكاننا أن ننشأ موقفين للسيارة بدلاً من واحد؟ ماذا عن اللمسات الأخيرة للملجأ؟»

قالت ضاحكة: «بلايز، إنك تزعج نفسك قبل أن يحدث الشيء.»

أجاب بكرامة: «لست كذلك، وليس هذا من دون شيء. لقد آن الوقت...»

قالت بمرارة: «المال.»

«أنظري، كان الأمر رائعاً لو كنا نعيش في عالم لا يعني المال فيه شيء، ولكن هذا ليس الواقع. ان أردت العيش هكذا إذهبي وعيشي في مجاهل افريقيا أو اعملي في دار للأطفال المعاقين، ولكن اخرجي من ورشتي.»

«أعلم بأنك لا تعني ما تقول، فقط أنت متعكر المزاج.»

أجاب بثقة: «لست كذلك، كل الناس يريدون منازلهم

التافهة ليشعروا بأمور تحملهم على الاعتقاد بأن هذا المنزل سيشعرهم بالسعادة. من باعتقادك سيتحمل المسؤولية حين يتفاجأون بالعكس؟ إن كانوا غير سعيدين سابقاً، سيبقون كذلك مهما إبتكرنا لهم من اضواء في المنزل.»

قالت برقة: «حسناً، لكنهم لا يبدون غير سعداء، بل أناس مسرورين.» وابتسمت للطفلين اللذين كانا في الشهر الثامن عشر من العمر.

«سأريهم المكان، هل هذا يناسبك؟»

تنفس بلايز بعمق وقال: «يناسبني؟ إن اريتهم المكان. أنا سوف...»

«لا تدعوني براندت أو ببسكويك مرة ثانية؟»

«إنها مساومة صعبة.»

قال الرجل: «مرحباً يا بلايز.»

«اتفقنا.» وافق بلايز باذعان، ثم قال للرجل: «دايف، كارولين، هذه جاني سميث، وستريكم المكان.» نظر إلى الطفلين ثم قال: «طفلان لطيفان.» ثم مشى بعيداً.

فكرت جاني مبتسمة لا يستطيع ان يتصرف بحكمة.

كانا يحدقان بجاني بدهشة لذلك لم ينتبها لتصرفه.

«أنت تعملين في بناء منزلنا؟» سأل دايف أخيراً، وكأنه كان يخشى أن يقع البيت فوق رأسه وهو نائم.

لفتت زوجته انتباهه: «لِمَ تقولها هكذا؟»

قالت جاني وهي تمد ذراعيها: «هل أستطيع حمل واحدٍ عنك؟»

«شكراً، لا تستطيع كارولين الاهتمام بالاثنين معاً.»

قالت جاني وهي تحمل الطفل:

«أعمل كمساعدة نجار بناء هنا، أحب العمل، كما أجيده أيضاً.»

قال دايف معتذراً: «لم اقصد شيئاً آخر، كل ما في الأمر، انني تفاجأت.»

قالت كارولين: «أظن بأن ذلك رائع.»

«شكراً، بلايز يحاول أن يستعد للارتفاع بالبناء وآلة الرفع تكلف مبالغ باهظة. لذلك سندور حول المكان اليوم. هل تعلمون ما هو الارتفاع؟»

هز الاثنان رأسيهما بالنفي.

«كانوا قديماً يستعملون الجسور لتحمل السقف، هذا قديماً، منذ عشرين سنة أو خمسة وعشرين.» ثم اخبرتهم عن كيفية الارتفاع الآن.

«اننا مستعدين لرفع السقف، ويتطلب ذلك حوالي الأربعة أيام، ثم يوم أو يومين للنوافذ والسلالم، ثم الأطر تنجز، إلى ان نصل إلى مرحلة التشطيب.»

«سنتمكن من الانتقال إلى هنا بأسرع مما كنا نظن؟» قالت كارولين ذلك بسعادة.

قالت جاني مبتسمة: «ربما، لا. يوم التسليم الذي حدده بلايز سيتوافق مع تسليم المال. الآن سيبدأ عمال الأدوات الصحية للتوافد للعمل بالداخل، وهذا يتطلب وقتاً، اكثر من الإنشاء.»

قالت كارولين بشيء من الدهشة: «آه. هل هذا هو المطبخ؟ يبدو صغيراً ربما تمكنا من إزالة هذا الجدار.»

اكدت جاني قائلة: «في الواقع ليس صغيراً أبداً، من الصعب تصور الحجم الطبيعي قبل الإنتهاء من كل شيء. سأجلب لكما الخرائط وسوف تقارنا حجمه مع بقية البيت.»

ثم أحضرت الخرائط وتأكدت كارولين.

قادتهما جاني من غرفة لأخرى، وأعطتهم التفاصيل ربما لم يعرفاها لكنهما وجداها ممتعة.

قالت كارولين: «بلايز لم يطلعنا على أمور كهذه، لطالما راودني شعور بأنه يعجّل في انهاء المنزل، اليس كذلك يا حبيبي؟»

أجاب زوجها: «بلايز لديه سمعة طيبة، بتسليم المنازل في مواعيدها المحددة وبالكلفة المحددة. وهذا ما يهم في الواقع.»

حماس جاني تلاشى، لم تكن تعرف نوايا بلايز، لكنها كانت تعرف ما رأته هذا الصباح.

ربما كان هذا سبباً لمتاعبه مع الناس في النهاية، ربما كان من الصعب عليه مواجهة الناس الذين يغشهم، هنالك أمور كثيرة تريد التوضيح، فكل المعطيات لا تفسر شيئاً.

مع هذا، حاولت أن لا يضيع فكرها المشوش حماس هذا الثنائي الشاب اللطيف.

راقبها بلايز بطرف عينيه، وهي تحمل الطفل بين ذراعيها.

تجوّل الزوجان وتفحصا المنزل لفترة طويلة ثم انصرفا.

قال بلايز عند ذلك: «حسناً، ماذا يريدان؟»

«يريدان منزلهما ان يجهز في الوقت المحدد وبالميزانية المحددة.»

«حسناً، هذا ليس بمشكلة إن لم يطلبا أي تعديل.»

قالت بوداعة: «إنهما من الأشخاص الطيبين.» كانت في عينيها نظرات لم يفهمها.

حدق بها وقال: «لقد امضيت ساعة معهما، وما زالا يعجبانك؟»

«شيء حسن أن تعرف كيف تبني المنازل يا بلايز، لأن شخصيتك لا تتوافق مع مهنتك كمقاول.»

صعق من كلامها وتساءل عن الخطأ في شخصيته؟ ماذا الذي لدى طبيب الأسنان ذلك وليس لديه؟

«لست جيداً في ما يختص بنهاية أعمال الناس. وماذا يهم؟ لدي عروض عديدة لبناء منازل. أي تغييرات يريدون؟ إن وعدتيهما بأشياء لا استطيع تقديمها، تصرفي أنت يا رانت.»

ذكّرته قائلة: «أظن بأننا عقدنا إتفاقاً.»

«حسناً يا جاني، إن وعدتيهما بأشياء لا أستطيع تقديمها، سأدق عنقك.»

«أرادت مطبخاً اكبر.»

طارت المطرقة التي في يده في الجو لمسافة خمسين قدماً وأصابت الشاحنة.

«كما طلبت نافذة تطل على الخليج من غرفة الطعام.»

قطعة القياسات في يده لحقت بالمطرقة ايضاً.

قال بحنق: «ماذا قلت لهما؟»

«هل بقي لديك شيء آخر لترميه؟»

«لا تبدين بأنك مسمرة بالأرض.»

«ثم، قلت لها إن المطبخ سيكون جيداً بعدما يكتمل، وجليت لها الخرائط، فتحققت من القياسات بنفسها.»

«ثم؟»

«قالت سيكون جيداً كما هو.»

«لا! هل تمزحين؟»

«بالطبع لا، تعلم جيداً ان بامكانها الوثوق بكلام امرأة بهذا الخصوص. وقلت لها بأنني شخصياً لا أحب النوافذ المطلة على الخليج لأنها تجعل البيت بارداً، وهذا لا يناسبها مع وجود الأطفال.»

«ثم؟»

«فلم تعد تريد نافذة على الخليج.»

«انك عبقرية. أظن بأنني سأتصل بمكتب الأمم المتحدة لأرى إن كانوا بحاجة الى مجهودك. تبقى الأضواء الزائدة. أستطيع تدبر الأمر.»

«حسناً، في الواقع اقنعته بأن لا ضرورة لها.»

«سألغي تلك المكالمة المتعلقة بالأمم المتحدة، أشعر بأني أريد ضمك.»

«ما رأيك باثني عشر دولاراً في الساعة بدلاً من ذلك؟» اقترحت بأعلى صوتها، الأمر الذي جعله يضحك فبانت اسنانه البيضاء.

«لك ذلك، يا سمكة.»

«بلايز!»

«اتفقنا على رانت، وبيسكويك وليس على السمكة.»

بدأت بالضحك، هل هناك مجال للفوز على هذا الرجل؟

تلاشى الضحك بعد ذلك تدريجياً، عليها أن تفوز، وعليها أن تتذكر لماذا جاءت إلى هنا. وسوف تجد شيئاً قريباً، قبل أن تدفعها عواطفها إلى الجنون.

دخل بلايز إلى مكتب التوظيف، آملاً في أن يعدّل المعلومات على الطلب للدعم المطلوب لأجر جاني.

أحس بالسعادة، فالمنزل الذي يبنيه لن تجري فيه أية تعديلات رغم المشاكل العالقة، لقد تكلمت جاني معهم وسوت الأمور.

تباً، انها تعجبه، وقد بذل جهده كي لا يفعل ذلك، كما فعل المستحيل ليتخلص منها.

ربما وبالتحديد لهذا السبب، هنالك مجازفة اذا اعجب بشخص ما. وخاصة امرأة مثلها. إنها تتساوى معه، تشاطره المسؤولية، وميوله، وحبه للأعمال الصعبة والعمل في الخارج.

جاني تجعله يشعر بأشياء لم يعرفها من قبل، العمل أصبح مختلفاً منذ قدومها. هناك الكثير من الضحك والقليل من الثورة حتى ان المشاركة بالعمل اصبحت اكبر.

* * *

«سيد هاملتون، كنت احاول الاتصال بك، ما زال هناك مشكلة بالنسة لهذا الطلب.»

«دون شك.» قال مستهزأً ولكن بروح مرحة واضحة.

«الاسم الذي يرفضه الكومبيوتر لدينا نظراً للرقم المعطى، هو ليس للاسم الأول بل لاسم العائلة، سميث.»

«لا.» قال بدهشة وهو يفكر بأن جاني ليست من النوع الذي يتزوج مرتين قبل سن الرابعة والعشرين.

ثم سأل: «أي اسم يعطيك الكومبيوتر.»

«جين مارغريت ساندستون.»

السعادة التي شعر بها في قلبه سابقاً، تلاشت بسرعة، وللحظة أحس بأنه سينهار ويقع أرضاً.

تمالك نفسه وتصنّع البرودة وهو يقول: «هل هذا صحيحاً؟» وكان هذا كل ما قاله.

الفصل الثامن

ساندستون.

جين مارغريت ساندستون.

غادر بلايز مركز التوظيف وعاد إلى الشاحنة ليصعد اليها. ولكن لم يشعر بأية رغبة بالتوجه إلى أي مكان، جلس هناك مصدوماً ومخدوعاً.

طالما شعر بأن هنالك سبب ما يشده إلى امرأة مثل ميلاني، فهي لا تجرحه. لميلاني الكثير من الاخطاء، ولكنها تماماً كما تظهر، امرأة جملية منشغلة بذاتها.

أما جاني. فإنها تختلف كل الاختلاف، تبدو لطيفة وطيبة، لا بل مفعمة بالطيبة والذكاء. لقد خبزت الحلويات وحملت الطفل بحنو، وجلبت صديقة لكلارنس. لقد بكت حين سببت الاحراج لتوماس.

تلك الكذبة تجرح، تجرح في الصميم.

ماذا تريد منه؟

لكنه كان يعلم.

الإنتقام.

قطع الاحاجي بدأت تتبلور في مكانها في رأسه فنظرات عينيها في أول أيام عملها كانت توجهها اليه بغضب ولوم. تذكر الحوادث في العمل وعملها إلى ساعة متأخرة لوحدها. قالت بأنها تحب ذلك وقد صدقها، ثم اشترى لها الهامبرغر.

لقد تذكر ذلك الشعور المرير حين علم بأن والدها مريض، والدها، سام ساندستون.

ما زال غير قادر على تشغيل محرك الشاحنة وعينيه مسمرتين إلى الاعلى.

كان ذلك منذ زمن وقد كان شاباً حينذاك، يبحث عن مكانه في هذا العالم، ذهب إلى الجامعة لسنتين، ولكنه تاق للحرية. كان من المستحيل احباط عزيمته. كان يكره العمل داخل أربعة جدران، ويشعر بالسعادة في ورش البناء التي كان يعمل فيها أثناء العطلة الصيفية منذ سن الرابعة عشر.

ألا تساوي السعادة شيئاً في حياته؟ هل ذهب إلى الجامعة لكي يعمل بوظيفة قد يكرهها لبقية ايام حياته.

تحمل مسؤولية ما كان يريده، رغم معارضة العائلة. لقد طار فرحاً عندما أعطاه ساندستون عملاً لديه. كان مشروعاً ضخماً، المراحل الابتدائية للعمل على بناء اثنين وثلاثين وحدة سكنية فخمة.

لم يطل الوقت ببلايز إلى ان ادرك بأن سام ساندستون فظ ومتفاخر وأن طموحاته تفوق إمكانياته، في البدء تغافل بلايز عن الأمور الثانوية بعدم تسميك أرضية الملاجىء وعلى اية حال هذا لن يضر بأحد.

لكن في احد الأيام دخل العمل ليجد بأن الأرضية التي كان قد دعمها بالحديد في اليوم السابق استعداداً لصبها في اليوم التالي، قد انتزع منها الحديد ليلاً.

احتار طوال النهار في كيفية التصرف حيال ذلك. أراد الرحيل بعيداً عن ذلك المكان، ولكنه علم إن كان سيعيش حر الضمير، فالابتعاد لن يحل المشكلة.

ذهب واجتمع بساندستون تلك الليلة.

شرح له ساندستون وضعه المالي، فأشفق بلايز عليه ولكنه لن يستطيع التراجع، وانتهت المقابلة بصورة سيئة حيث اعترف ساندستون بأنه تحطم.

هذا ما حصل فعلاً. كان المجمّع الذي يبنيه، هو آخر ما يمكنه القيام به بعد أن تحول وضعه المادي إلى حالة ميؤوس منها. ان مجمع ساندكاسل السكني، انتهى قبل أن ترفع سطوحه، وقلب سام ساندرسون استسلم تحت ضغط الأزمة.

لطالما شعر بلايز بالحقارة تجاه هذا الوضع، ليس لأنه لم يقبض آخر راتب له، ولكن لأنه اضطر إلى زيارة سام ليبلغه بالذي حصل.

لقد فعل الصواب، الصواب بعينه، لكن في الوقت نفسه لم يستطع نسيان تلك الفتاة التي فتحت له الباب في تلك الليلة.

كان ليبلغه بالذي حصل. وحين فتحت له الباب بدت وكأنها كانت غارقة بالضحك.

أدرك وقتها في الحال، بأن الفتاة هي جزء من طموحات سام المستمرة. إنه يريد الأفضل لإبنته. أفخر الثياب افضل المنازل، الدروس الخاصة، والرحلات للاستجمام.

لسبب ما، كانت تلك الفتاة، وليس سام، من سيطر على تفكيره لوقت طويل.

كان يعلم بأن ما جرى لسام سيؤثر سلباً على عائلته، فهل تدفع تلك الفتاة ثمن طموح سام؟ تلك الفتاة التي اصبحت امرأة الآن؟

تلك الليلة رأى ولاءها وحبها لوالدها واضحاً على

وجهها، وأحس براحة لأن سام سيحظى بالمساعدة للتأقلم مع ما سيخبىء له المستقبل، اما الآن فقد قادها الحب والولاء إلى الانتقام.

هذا حظه، فأفضل عامل لديه، يريد النيل منه.

مال إلى الأمام وأدار محرك الشاحنة، يجب أن ينال منها أولاً. ثم فكر بيأس بالطريقة التي سيمضي فيها عطلة الأسبوع، ينتظرها ليلاً امام منزلها لتخرج منه.

* * *

«جوناثان، لا استطيع الذهاب معك لمشاهدة الفيلم هذه الليلة.»

كان خطيبها قد جاء إليها بعد ما انهى عمله اليومي، واستدار من امام المغسلة حيث كان يغسل يديه، جففهما بعناية وخلع سترته البيضاء.

أحست جاني بأنها تنظر إليه بعين ناقدة، لقد كانت تقارنه ببلايز وتكره نفسها لذلك.

«نسيان المواعيد، إلغاء دعوات العشاء، أيادٍ مضمدة. أنف أحرقته الشمس، جين، هل رأيت ما فعل بك عملك هذا؟»

ألا يمكنه أن يرى كم تشعر بالقوة؟ لقد اصبحت معافاة تمتلىء حيوية بطريقة لم تشعر بها لسنوات من قبل. «لن أستمر طويلاً في هذا العمل.» ولكن لماذا تشعر بإحساس في الخسارة؟ كان هذا الشعور اعمق من العثور على عمل تحبه.

ربما كان هذا ثمناً تدفعه لتطلعها نحو العدالة، ربما كان هذا ثمن الانتقام.

«لن تستمري طويلاً في هذا العمل؟ حسناً، ما الذي دعاك إلى هذا الاحساس؟»

قالت بهدوء: «اوشكنا على الانتهاء من ذلك المنزل، لا اظن بأن بلايز يريديني لبناء مبنى آخر.»

قال جوناثان ذلك باشمئزاز: «ألم تتفقي مع رئيسك.»

أجابت: «لم اتفق يوماً مع بلايز.»

لم يكن ذلك صحيحاً فقد مرت اوقاتاً كانا فيها متفاهمين جداً. علاقتهما العملية، كان يشوبها الضحك والمتعة والمغامرة. حتى حين كانا غير متواجهين، كانا يتباريان باستعمال سرعة بديهتهما في العمل. أكان بلايز أو العمل هو من سبب احساسها بروعة الحياة وروعة العيش؟ تظن بأنه بلايز.

هذا سبب أكيد يحتم عليها وضع حد لكل ذلك.

سألته: «هل استطيع أن استعير سيارتك لعطلة نهاية الأسبوع؟»

«تستعيري سيارتي؟ لطالما لم تعجبك.»

«لا أكرهها، تماماً. فقط أستغرب كيف تمتلك مثل هذه السيارة بينما هناك أناس مشردين في هذه المدينة.»

قال ممازحاً: «هل ستجري عليها قرعة لتشتري لأحد هؤلاء المتشردين منزلاً؟»

«جوناثان! يا لها من فكرة جيدة!»

قال بجفاء: «انسي الأمر. ولماذا تريدين استعارة سيارتي، بينما أنت تعارضين امتلاكي لها؟ هل تودين التأثير على أحدهم؟»

«كلا، أريد فقط ألاّ يعرفني أحد.»

«إذن استعملي سيارتك، الناس يتعرفون بسرعة على راكبي سيارة الجاكوار!»

قالت وقد بدت تعيسة فجأة: «ليس كل الناس.»

ناولها مفتاح السيارة فبدا الارتياح عليها.

«آه جين، أنظري فقط إلى يديك.»

نظرت اليهما، لكنها لم تلحظ خطأ، فقط لوحتهما الشمس، جرح طفيف في أحدهما وظفر واحد مكسور.

تلاقت نظراتهما، فأحست كم انهما متباعدين، تماماً مثل سفينة غادرت المرفأ، فإذا لم يقفز احدهما ليقطع المسافة بمفرده فسيفوت الأوان قريباً.

«انتبهي للسيارة يا جاني. هنالك فرق كبير بينها وبين سيارتك.»

قالت بهدوء: «سأكون حذرة.»

عبس وقال: «جين، هل تخططين لحماقة ما؟»

«أنت تعرفني حق المعرفة.»

لم تقنعه، ولا يبدو بأنه يعرفها حقاً.

* * *

استعارة سيارة ميلاني ربما كانت غلطة، فكر بلايز، فمهما حاول لن يرتاح في ذلك المقعد المنخفض. ولكن وجود الشاحنة قرب المنزل يعني بأنه موجود.

سكب لنفسه فنجانا من القهوة ونظر إلى ساعة السيارة، انها الثالثة وعشر دقائق صباحاً، حوّل نظره الى الطريق، كان هناك عدة سيارات متوقفة، وليبعد الضجر عنه بدأ بتفحص السيارات. سيارة نوفا قديمة تحتاج إلى الطلاء،

وسيارة حديثة نيويوركر ربما تعود لرجل ثري، وجاكوار فضية اللون، ربما لطبيب.

كان يحاول أن يشيح ببصره حين لمح طيفاً في داخلها، ثم استبعد الفكرة، ربما يتصوّر له أشياء.

ثم ضاقت عيناه، سيارة طبيب. وهل يعقل أن تأتي وتوقف سيارتها الحمراء المعروفة عند الزاوية.

خرج من سيارة ميلاني بسرعة، ولأنه لا يريد ان يثير الانتباه، لم يغلق باب السيارة. ثم تفحص السيارة ثانية لا أثر لأي شيء فيها. ربما كانت هناك في المبنى.

سأل نفسه: «ماذا سافعل لو وجدتها هناك؟»

اقتلها، صوت ما بداخله قال له:

قبلها، قال صوت آخر.

هنالك صوت منشار مسموع في المبنى يتوقف ومن ثم يتابع.

* * *

استفاقت جين داخل السيارة. أين هي؟ إنها في سيارة جوناثان، ولقد غطت بالنوم، إنها ليست بالطريقة الفضلى للقبض على مجرم، لو كان هناك.

ما الذي جعلها تصحو؟ استوت على المقعد واخرجت رأسها من الشباك.

انهمرت دموعها، فمسحتها بغضب. إنه هنا متوجهاً نحو التلة بثقة، لا يمكنها ان تخطىء منظره في ضوء القمر.

انتظرت حتى اختفى داخل المبنى، فتحت باب سيارتها بحذر، ولحقت به.

سألت نفسها: ما عساني ان افعل حين أقبض عليه؟

حين اقتربت سمعت صوت منشار، فشعرت بحزن، بوحدة وعزلة كما لم تشعر بها في حياتها.

ارتطمت بلوح خشبي، وتوقف النشر فجأة. فوقفت مكانها دون حراك، ثم اخذت نفساً عميقاً ودخلت إلى المنزل الغارق في الظلمة، مدت يديها لتتحسس طريقها.

«آه.»

لقد ارتطمت بشيء، لا، بأحد ما. شخص صلب وضخم.

ثم يد حديدية طوقت خصرها، وقال صاحب اليد بهمس: «جاني؟»

قالت بصوت عالٍ: «انتهت اللعبة يا بلايز.»

قال بدهشة: «إذاً أنت هنا، فمن الذي هناك؟»

نظرت نحو الضوء، فرأت شكلاً، شكلاً تحول فجأة إلى شيء تحرك وركض.

ركض بلايز، وهي وراءه.

«أرجوك ألاّ تستعمل المسدس.» قالت جاني متوسلة بينما تلحق به، وعندما وصلا إلى الشارع العام، كانت هناك مقاومة ولكن بسيطة.

حين وصلت جاني اليهما كان بلايز قد أطبق على الآخر، لكن الوجه كان مألوفاً.

ثم قال بلايز: «جاني، أود أن تقابلي راؤول، انه عامل سابق لدي.»

تذكرت اين رأته، إنه العامل الذي صرف من الخدمة يوم حضرت هي للعمل.

سألته: «هل تنتقم من بلايز لأنه طردك؟»

أجاب بوقاحة: «لقد طردت قبلاً، ولكن لم يسبق لي وان

استبدلت بإمرأة، وهذا ما جعلني اضحوكة، لا أريد ذلك. هل تفهمين؟»

قال بلايز: «بالطبع، تفهم.»

«أرجوك يا جاني إذهبي إلى أي من تلك المنازل واتصلي بالشرطة؟»

أطرقت قليلاً ثم ذهبت.

حضرت الشرطة بسرعة واعتقلت جاك.

بعد ذلك قال بلايز: «تعالي، ما زال لدي بعض القهوة، نحن بحاجة لأن نتكلم.»

«هناك مفرش في سيارة جوناثان سأجلبه ونذهب الى المنزل هناك حيث نجلس عليه.»

احضرت المفرش بينما احضر هو ابريق القهوة.

دخلا المنزل ومشيا نحو الشرفة، جلست على الأرض، وجلس إلى جانبها.

قالت أخيراً: «تأسفت لحال راؤول.»

«وأنا أيضاً. لقد تكلمت معه حين ذهبت للاتصال، لست متأكداً إن كان قد سمعني.»

اعترفت برقة: «تفاجأني احياناً يا بلايز هاملتون.»

«أعلم، لقد اعتقدت بأنني سيء. اليس كذلك يا جاني ساندستون؟»

قفزت من مكانها وقالت: «أنت تعلم؟»

«منذ بعد ظهر أمس، مكتب التوظيف أخبرني، فاستنتجت من ذلك، انك سبب ما يحصل في العمل.»

قالت بعقلانية: «لا تكن سخيفاً، لو اردت التخريب، لما كنت توظفت عندك، بل كنت تسللت كما تسلل راؤول.»

«إذن، ما الذي تريدينه يا جاني؟»

«ظننت بأنك أنت من يعبث بالاعمال هنا. ولم استطع التوصل الى السبب الذي يدفعك إلى ذلك، لابتزاز أموال اصحاب المنزل، أو ربما قد تدفع لك شركة التأمين مبلغاً كبيراً لهذه الأضرار.»

«أردت بأن أكون أنا الفاعل.»

نظرت إليه وقالت: «نعم، نعم، أردت ذلك.» ثم ترقرقت الدموع في عينيها، واشاحت بوجهها. «بلايز، رأيتك تدفع المال للمفتش.»

انفجر قائلاً: «رأيتني ماذا؟»

«رأيتك تعطي المفتش مالاً، لماذا؟ ماذا فعلت؟»

«لم أفعل شيئاً، ما الذي أعطاك هذا الانطباع؟»

قالت بحزن: «كيف بامكانك ان تكذب وانا شاهدة على ذلك، أعلم ان ما رأيته كان مالاً ينتقل من يد لبد.»

كرّر بغضب: «مال ينتقل من يد لبد، أنت مجنونة، آه، تباً، لا.»

قالت بحرقة ممزوجة بالألم: «عرفت ذلك.»

«كنت قد أقمت رهاناً معه.»

قالت غير مصدقة: «رهان؟ كسباق الخيل وما اشبه؟»

«نعم، وما أشبه.»

«متأكد يا بلايز، فانا لا أصدق.»

«لأنك لا تريدين ذلك.»

«على ماذا كان الرهان، إذن؟»

قال بسخرية واضحة: «لقد راهنته على أن لا تكوني هنا حين يأتي للتفتيش التالي.»

مدّ يده وأمسك بذقنها قائلاً: «لماذا أردت بأن أكون أنا الفاعل؟ لهذا السبب؟»

جذبها إليه وقبلها قبلة ولم تحاول الابتعاد لأنها كانت تريد ذلك.

«أهذا ما كنت تريدينه مني، يا جاني؟»

أحست بدوار مفاجيء. ماذا يقول؟

«أليست هذه خدعة بأن تكوني ترغبين برجل تسبب بأذية والدك؟ ولكن لو كنت غير شريف، دون احسان، وضيع ستكونين قد اصبت عصفورين بحجر واحد. اليس كذلك؟ ظننت بأنك تستطيعين إرضاء رغبتك بي والانتقام مني في آن واحد.»

حدقت به مذهولة.

«الآن لن تحصلي لا على هذا ولا على ذاك.»

دفعته عنها قائلة: «اتركني.»

فعل ما طلبته منه، ثم قال: «أنت على حق، عليك تسوية الأمور العالقة قبل أن يحصل هذا بيننا.»

قالت وهي تقف: «هذا لن يتكرر ثانية، لقد قتلت والدي.»

«هل توفي يا جاني؟» وقف وبدا مهتماً بلطف.

«هنالك أشكال عديدة للموت، لقد توفي منذ وقت طويل، منذ ثماني سنوات، وأنت من قتله.»

«جاني، لم أفعل هذا، هو من قتل نفسه.»

صرخت في وجهه قائلة: «لا. لم يفعل، لقد كان قوياً، وطيباً. كان رائعاً في كل شيء، وأنت دمّرت كل هذا. أنت دمرت رجلاً طيباً بجشعك وطمعك.»

قال موافقاً: «رجل طيب دمره الطمع والجشع، ولكن بما قام به، وهذا ليس لي ذنب فيه.»

صفعته صفعة قوية على خده، قوة الصفعة أدارت وجهه.

بقي جامداً مكانه وعندما نظر إليها كان الحزن واضحاً في عينيها، فأشفق عليها، ثم استدارت واسرعت هاربة منه.

أوقفت جاني السيارة امام منزلها وخرجت منها، كانت متعبة لدرجة الانهيار، لكنها توقفت فجأة، هنالك اضواء تنبعث من نوافذ منزلها الصغير.

أخذت نفساً عميقاً ومشت نحو الباب، كان هناك اشقائها الثلاثة، وجوناثان.

«ما الذي يجري هنا؟»

«جاني!» الأصوات الأربعة ارتفعت معاً، والتف الجميع حولها، كل واحد منهم يسأل اسئلته، وكل واحد يرفع صوته اكثر من الآخر، حتى أصبح الجميع يصرخون معاً.

«اخرسوا.» انفجرت اخيراً، ثم جلست على كرسي وهي تضيف: «ما الذي يجري هنا؟»

أجاب جوناثان: «جاني. مررت من هنا حوالي منتصف الليل، وعلمت بأنك لست متواجدة، فتذكرت بأنك استعرت سيارتي لأمر غير عادي... ولكن... أين كنت؟»

أجابت: «ليس من شأنك أن تعلم وأنتم أيضاً، أنا امرأة ناضجة الآن، ولا استطيع أن اصدق بأنكم تتصرفون هكذا؟»

«كنا فقط قلقين عليك، يا جاني.» قال اصغر اشقائها، وتابع: «ليس هذا بذنب، أليس كذلك؟ الأمر لا يتعلق بخروجك... حيثما ذهبت... بعد منتصف الليل.»

«لقد خرجت، قد اكون ذهبت لزيارة مريضة ما، أو اردت أن امضي عطلة نهاية اسبوع بمفردي، أو ذهبت لأتبضع هناك مخازن تفتح طوال الليل.»

سأل جوناثان: «لكنك لم تفعل كل هذا، اليس كذلك؟ كنت معه.»

«آه، جوناثان، إنها قصة طويلة، وليس كما تظن.»

قال جوناثان ببرود: «كنت معه.»

«ليس بالتحديد، أعني، لم اخطط للاجتماع به.»

قال سيمون وهو شقيقها الأكبر سنًا: «حسناً، ايها الشباب، جاني بخير، ولكنها متعبة. لنذهب، ستطلعنا على قصتها غداً، اذا شاءت.»

قال ذلك ونظرة لوم بدت في عينيه، ثم فتح الباب ليخرج الجميع.

اغمضت عينيها ثم فتحتهما لترى أن سيمون ما زال واقفاً مكانه.

«أعلم بأنه من الأفضل قول الحقيقة. جاني، أريد أن أعلم لماذا تعملين لدى بلايز هاملتون.» وجلس قبالتها.

قالت متأثرة: «ليس لقلة وفائي كما تظن.»

قال مستفسراً: «لماذا تصفين الأمر بقلة الوفاء؟»

«آه، لا تكن غبياً سيمون، لقد عرفت الاسم، وتعلم من هو.»

«أجل، يخص اكبر مقاول بناء في هذه المنطقة.»

«ليس هذا ما عنيته.»

«ما عنيته يا جاني؟»

«بلايز هاملتون دمر والدنا، لن أنسى ذلك، حتى لو نسيت انت!»

قال مضطرباً: «هذا ما كنت أخشاه.»

قالت مدافعة: «ما الذي تقصده؟»

«جاني، لطالما تصورت والدك مثالاً كاملاً لكل شيء، ربما كان هذا مقبولاً لفتاة في السادسة عشر من العمر، ولكن الآن عليك أن تواجهي حقيقة الرجل العجوز.»

قالت بحزم: «لا أريد سماع ذلك، أريدك أن ترحل.»

«إذن، بدأت تعرفين الحقيقة؟ في اعماق نفسك تعلمين بالضبط ما أود قوله.»

«كفى يا سيمون.»

«لا أريدك أن تنالي من بلايز هاملتون، خاصة لمعتقد خاطىء اعتنقته في ذاتك لمدة طويلة.»

«سايمون...»

«بلايز لم يحطم والدنا يا جاني. أنت الوحيدة التي لم تعرف الحقيقة.»

«لن اكلمك ثانية إن لم تسكت الآن.»

«لقد رآه، رأى والدنا يقطع الزوايا في البناء، ولم يعرف كيف يتصرف أو ماذا يفعل.»

«أنت تكذب.»

«جاني، أنا لا أقول بأن والدنا رجل سيء، ولكنه بدأ فقيراً وقد اعتنق مبدأ، وهو أن المال هو من يصنع الرجل، والأشياء، أراد لك أن تمشي بين الناس مرفوعة الرأس بطريقة لم يحصل عليها هو في مثل سنك، كان هذا طموحه وطموحات أخرى ايضاً، كانت هذه معركته. جاني كان الأمر ماساوياً حين حدث لطالما شعرت بأن بلايز قد صدم من ذلك.»

«إنه رجل طيب يا جاني، اعتقد بأنك تثقين بذلك من صميم قلبك، أليس كذلك؟»

«انني أحب جوناثان.»

«هذا مضحك لم اقل بأنك لست كذلك، لطالما راودتني افكار بخصوصك وبخصوص جوناثان، رغم ذلك اتساءل إن كان والدك قد صور لك حلماً ما تصورت بأنك ستحققينه مع جوناثان، ولكن هل هو حلمك حقاً؟»

«أنا أحبه!»

صمت شقيقها قليلاً ثم قال: «أنت متعبة، اخلدي إلى النوم، ستتوضح الأمور اكثر غداً.»

«لن اصدقك أبداً بخصوص والدنا، أبداً.»

«لن تصدقيني، ربما، ولكن ستصدقينه هو نفسه. لماذا لا تسأليه عن مجمع ساند كاسل وبلايز هاملتون؟»

ثم قبّل جبينها وقال لها قبل ان يغادر: «عمت مساءً.»

liilas.com

الفصل التاسع

أخذت جاني تنسق الزهور التي أحضرتها، وقد اختارتها من الأنواع التي تذكرها بالربيع، رغم أن الفصل هو فصل الخريف.

قال بهمس: «جاني، تعالي واجلسي على حافة السرير. انك تبدين متعبة، تعالي وأخبري والدك بالذي يزعجك.»

استدارت وابتسمت، ليس من عادتها اخفاء شيء عنه، فهي لم تنم، وتعلم مدى التعب والاجهاد البادیان على وجهها.

للحظة حدق كل منهما بالآخر، لم يكن هو بحال أفضل من حالها.

كان هناك شيئاً ما في عينيه لم تره من قبل. هل من الممكن ان يكون السلام؟ ان والدها ما كان يوماً مسالماً.

تذكر جيداً حين كانت طفلة، كم كان مستبداً وقوياً لدرجة مذهلة، بينما الآن ضعيف.

قالت ببطء: «والدي أيمكنك أن تحدثني عن بلايز هاملتون؟»

إتسعت عيناه قليلاً، ثم نظر إلى خارج نافذة المستشفى، فقالت مستدركة: «لست مجبراً على ذلك، أقصد إذا ما كان ما فعله بك سيزعجك الآن.»

قال بهدوء: «كلا، أريد أن أخبرك. فقط أحتاج لدقيقة أنسق بها أفكاري.» ثم أخذ نفساً عميقاً وتابع: «جاني، لقد اتهمت رجلاً بريئاً أمامك، وها قد حان الوقت لأريح ضميري، ربما مت قريباً، كما تعلمين.»

«والدي، أرجوك لا تذكر هذا.»

«جاني، لم يكن بلايز هاملتون وراء انهيار مجمع ساندكاسل، بل كان هذا بدافع مني، لقد كنت طماعاً، وأردت أن أصل إلى القمة بسرعة. كانت المسألة أكبر من امكاناتي المادية، وحين ساءت الأمور قطعت بعض الزوايا في البناء. رآني بلايز وطلب مني أن التزم بمعايير البناء وأصوله.»

«ولكن يا والدي، كنت تقول دائماً بأنه هو من اخطأ، سمعتك تردد ذلك مراراً وتكراراً وتضع اللوم عليه.»

«فقط أمامك يا جاني.» قال ذلك برقة ناظراً إليها بعاطفة كبيرة، ثم اضاف: «والدتك واشقائك يعلمون الحقيقة، ولكني كنت مثلك الاعلى، ولطالما أحببت هذا الدور. لم أشأ أن تعرفي حقيقتي، بأنني كنت أغش الناس وسلامتهم لأحقق أهدافي، كنت الخائب الأكبر في المدينة وكنت أرغب بأن أكون بطلك. أليس مخجلاً أن يعترف رجل عجوز بشيء كهذا؟ لمت بلايز حتى لا تدركي إلى اي مدى قد انحدرت، ألقيت باللوم عليه حتى تنظري إلي دائماً بنفس النظرة الساطعة من عينيك.»

ابتسمت له من خلال دموعها قائلة: «لا يهم، ستبقى دائماً بطلي ومثلي الأعلى بالرغم من كل شيء.»

أغمض عينيه وقال: «كان علي أن أثق بالحب. فالحب يغفر ويتقبل دائماً كل شيء بالرغم من أية ظروف.»

وافقته على الفور والدموع تخنق صوتها: «دائماً.»

أتعلمين يا جاني، أنا سعيد لأن بلايز كشفني.»

«ماذا؟»

«ربما كنت سأمضي بقية حياتي معذب الضمير، ربما كنت سأنجح في الوصول أمام الجميع، ولكنني كنت سأعيش مذنباً وخجلاً من نفسي، ما نفع ذلك؟ سأموت الآن مرتاح الضمير. كنت دائماً أفكر بأن هناك شيئاً واحداً علي فعله قبل الرحيل. الآن انهيته، شكراً لأنك سألتني عن بلايز اليوم بالذات؟»

اعترفت له عن كامل خطتها التي وضعتها للإنتقام منه.

ضحك والدها حين انتهت، بدا سعيداً وهو يضحك وتذكرت كيف كان هكذا منذ زمن بعيد.

«جاني، أترين كم ان الحياة رائعة؟ كيف أنها تمتلىء بالمغامرات والمفاجآت؟ أترين سخريتها؟ ذهبت إلى هناك لتنتقمي، بينما...؟»

«والدي؟»

شيئاً ما تبدل في عينيه، ثم في صوته، أيضاً عندما تابع: «هناك شيء واحد فقط.»

«والدي؟»

التغيرات بدت عليه بوضوح، وكأن روحه تنسل من جسده. لقد أحست بذلك، وأحست بعجزها عن منع ذلك وكأنها ستوقف دورة الحياة.

«الحب.» همس قائلاً، وأروع ابتسامة إرتسمت على وجهه، وشعت عيناه بضياء لم تر بمثله في حياتها.

تابع بصوت صاف: «الحب، سام ساندستون هنا.»

تلاشى بعدها الضوء، وتوفي والدها.

لساعات طويلة جلست تجري الاتصالات المؤلمة التي عليها تدبيرها، بذهن مشتت وحزن كبير يمزق صدرها.

بقي إتصال واحد احتاجت لأن تجربه، ربما لتقديم الاعتذار، في الواقع لأكثر من هذا.

إنها بحاجة إليه، الآن أكثر من أي وقت مضى، ولم يكن لديها الشجاعة لكي تسأل نفسها لماذا.

طلبت رقم هاتفه ببطء منتظرة سماع صوته كغريق ينتظر سترة النجاة.

«آلو؟» وكان الصوت الذي أجاب نسائياً.

«هل بلايز موجود؟» قاومت لكي تأتي كلماتها ثابتة، ولتبقى الحاجة اليه مستبعدة في صوتها.

اجابت السيدة بعذوبة: «نعم موجود ولكنه نائم. هل ابلغه رساله ما؟»

«لا... نعم. أرجو أن تخبريه بأنني لن استطيع المجيء للعمل يوم الاثنين.»

وضعت سماعة الهاتف بارتياح، انه سيأتي اليها.

* * *

«ميل، مرحباً.» وخرج بلايز من غرفة النوم، حافي القدمين.

«أكره بأن تناديني بميل.»

«أعطني فرصة، لقد استيقظت للتو، متى جئت؟»

«منذ بضعة دقائق. لقد قرعت الباب، وعندما لم تجب، سمحت لنفسي بالدخول، رأيت سيارتي في الخارج، فتصورت انك هنا.»

«آه.» توجه نحو البراد وتناول منه علبة مرطبات ثم فتحها وشرب منها قليلاً.

«ليست من عادتك أن تنام خلال النهار، هل امضيت ليلة مزعجة؟»

«أجل، لقد عثرت على الشخص الذي كان يعبث بما انجزته في المنزل الذي ابنيه.»

«آه» قالت وبان الارتياح على وجهها.

«ميلاني، علينا ان نتكلم.»

«آه، عزيزي، لا أحب طريقة كلامك هذه.»

«ميلاني، أنت تعجبينني، لقد أمضينا أوقاتاً رائعة معاً.»

«لا داعي للمزيد، أرجوك.»

قال بلطف: «آسف.»

«إنها هي، أليس كذلك؟»

أراد أن يمثل البراءة. أراد أن يقول من؟ ولكنه لم يفعل.

«ظننت بأن هناك آمال كبيرة بيننا.» قالت محاولة السيطرة على إنفعالاتها.

قال بلطف: «ليس لدينا اية قواسم مشتركة، حاولنا ان نتفاهم على أغلب الأمور ولكننا فشلنا.»

«ظننت بأننا نكمل بعضنا البعض في عدة أمور.» قالت ذلك وتذكرت أن تبدي العاطفة في صوتها وعينيها.

«ميلاني. أنا لست مراهقا. ما أطلبه في معرفتي بك، هو أبعد من ذلك.»

«وهل تلك التي تعمل بمطرقتها عندك تستطيع أن تعطيك شيئاً لا اوفره لك أنا؟»

«لست أدري، آخر مرة تكلمت معها تخاصمنا، ربما لن تكلمني ثانية. ولكنها ارغمتني على أن أدرك الأمور بوضوح في حياتي.»

«وما هي تلك الأمور؟»

«ميل...»

«لا، أخبرني!»

«إنه فقط إحساس، شعور دافىء، شعور حي. وكل هذه ممتزجة بالاحترام والمحبة، والضحك في آن واحد.»

«ولكن هذا هراء وسخافة.»

«هذا ما عنيته عن الفرق بيننا يا ميلاني. أنا رجل بسيط أحب الجينز الأزرق، وأقود الشاحنات، والهامبرغر. أحب اشعة الشمس، ورائحة نشارة الخشب.»

قالت معترفة: «أظن ان ذلك صحيحاً، فنحن مختلفان.» جالت ببصرها في أرجاء الغرفة، ثم اضافت: «تلك اللوحات التي انتقيتها هي مثال على ذلك، لم تعجبك، اليس كذلك؟»

«إنها ليست ما يناسب مزاجي، يا ميلاني.»

«أظن بأننا لن نحب لوحة لمصارع ثيران.»

سمع السخرية ولكنه إبتلعها.

«هل تظن...؟» ثم تلاشى صوتها.

«بالطبع، خذيها.»

«شكراً، آمل بأن نبقى صديقين يا بلايز.»

«شكراً.»

«علي ان اذهب، هناك الكثير من الأشياء يجب انجازها، بعد ظهر هذا اليوم، هل هذه مفاتيح سيارتي؟»

أومأ برأسه بالايجاب، ثم انتزع اللوحات عن الحائط، لم تبد النية بحملها، فحملها هو ولحق بها الى السيارة ثم وضع اللوحات على المقعد الخلفي، وعندما جلست وراء المقود، اخفضت زجاج النافذة.

«كدت أنسى، هل سمعت رنين الهاتف منذ بعض الوقت؟»

«كنت سأسألك عن ذلك، لقد كان سبب استيقاظي.»

«كان شخصاً يريد أن يبيع منشورات أو كتب، على ما أظن.»

«ليس لدي الوقت للقراءة.»

«هذا ما توقعته، لا شيء مهم.» ثم أدارت مفتاح المحرك وقالت: «حسناً يا بلايز. هل سأراك قريباً؟»

«بالتأكيد.»

* * *

«أين تلك بيسكويك؟ الساعة تقارب الثامنة.»

كان يكلم نفسه على غير عادته. يشعر هنا بالحرية، ولكن الن تحضر؟

صرخ وهو ينظر عالياً: «أين هي؟»

«تعني جاني؟» صادف أن كلارنس كان يمر بقربه.

«هل هناك عنصر نسائي آخر بين فريقنا علي أن اعرف بأمره؟»

«قالت مايبل بأن والدها قد توفي خلال عطلة نهاية الأسبوع، يا لها من مسكينة.»

أحس بلايز بأن قلبه قد توقف.

انها بحاجة إليه.

لم يستطع أن يمنع نفسه عن الذهاب اليها، فأسرع نحو الشاحنة.

* * *

«جوناثان، شكراً لوجودك إلى جانبي، لقد ساعدتني كثيراً.» ثم تنهدت بعمق وقالت: «وهذا مما سيصعب علي قول ما أريده.»

«جاني، إرجئي الموضوع، فأنت متضايقة، لم تنامي لأكثر من ثلاث ساعات خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية.»

سألته بلطف: «جوناثان، أظنك تعلم بانه يتعذر علينا الزواج، أليس كذلك؟»

«بالطبع أعلم. علينا إحترام الوضع الحالي والانتظار لفترة.»

قالت بهدوء: «ليس هذا ما عنيته.»

«آه، إنه هو، أليس كذلك، جاني؟»

قالت بحزم: «لا. ليس بسببه يا جوناثان، الأمر متعلق بنا، فنحن مختلفان جداً، تريد أشياء مختلفة جداً من الحياة.»

«ماذا تقصدين بالأشياء المختلفة؟»

قالت وقد تذكرت والدها: «أنا أريد الحب، أنت تريد المركز والمال، وكل ما يتبع ذلك.»

قال مدافعاً: «لست ذلك الحالم.»

«صدقني يا جوناثان أنا لا أقاضيك، كل ما عنيته بأننا مختلفين والفوارق بيننا أصبحت واضحة وملموسة خلال الاسابيع الاخيرة.»

قال جوناثان بتأثر: «منذ أن عرفته.»

قالت بنعومة: «ربما لن أراه ثانية.»

«جاني، لا تتخذي اي قرار الآن فالأوضاع غير طبيعية، تريثي قليلاً.»

«لا.» قالت وكانت هذه آخر هدية تقدمها لوالدها هي أن تكون صادقة مع قلبها.

«أريد أن أكون صديقك على أيه حال، خاصة في هذه الظروف الصعبة، إن احتجت لأي شيء، إتصلي بي، سأكون في خدمتك.»

«شكراً، أنا متعبه للغاية، وبحاجة الى الاستحمام والخلود إلى النوم.»

«خذي حمامك، سأهتم بكل تلك الأزهار وأذهب.»

«شكراً مرة ثانية، لطالما كنت حسن الأخلاق.» قبلته على خده ودخلت الحمام.

وصل بلايز إلى بيتها، صعد درجات السلم كل إثنين في آن واحد، لم يحظ بفرصة الطرق على الباب، فخطيبها، طبيب الأسنان، خرج للتو وأغلق الباب وراءه.

«بلايك، أليس كذلك؟» قال ببرودة.

رأى بلايز أن لا داع لتصحيح الإسم. وبدت المساحة الصغيرة لا تتسع لكليهما.

«عرفت للتو عن وفاه والد جاني، وأريد التحدث إليها.»

أجاب بحدة: «حسناً، إنها لا تريد التحدث اليك، وأظن، نظراً للضغط النفسي الذي تعاني منه، عليك احترام رغباتها، أليس كذلك؟»

لم يعجب بلايز طريقة كلام جوناثان وكأنه يتكلم مع معتوه دون إحساس.

«هل تستطيع أن تخبرها بأني أتيت لأقدم واجب التعزية إليها؟»

نظر إليه جوناثان بغضب ولم يجب، ثم استدار وغادر ولم يلتفت إلى الرجل الذي كان يظن بأنه الأوفر حظاً في الدنيا.

* * *

«جاني، أظن أنك بحاجة للعودة إلى العمل.»

«لست مستعدة بعد للبحث عن عمل.» ثم أدارت ظهرها لمايبل بينما كانت تسكب المياه الساخنة في ابريق الشاي.

«أليس لديك عمل؟»

«لا، ليس لدي عمل.»

«حسناً، ولكن هذا مخالف لما قاله كلارنس، قال بأن بلايز ينتظر عودتك بفارغ الصبر.»

وضعت جاني إبريق الشاي على الطاولة، ولم تنظر إلى

صديقتها، ثم بدأت بوضع قطع من الحلويات في صحن امامها.

«آخر مرة رأيت فيها بلايز صفعته على وجهه بكل ما اوتيت من قوة، لم أعتذر ولست عازمة على ذلك.»

«يبدو الأمر مجرد إنفعال نسائي ليس إلا.» قالت مايبل ذلك موضحة، ثم اضافت: «لماذا لا تريدين الاعتذار؟»

«لم يواسيني بمصاب والدي، والخطأ كان خطاه. كان عليه ان يعلم ما يعني هذا الرجل لي.»

«آه يا جاني. تعرفين الرجال. إنهم لا يعلمون، ماذا سيفعلون وسيقولون في مثل هذه الظروف.»

«كلارنس يعلم ما قد يقال في مثل هذه الظروف.»

أجابت مايبل: «كلارنس رجل مميز، وبلايز أيضاً.»

«كيف عرفت ذلك؟»

«أنا وكلارنس تناولنا العشاء معه ذات ليلة، كان هناك امراً وطلبنا منه مساعدتنا به.»

«هل أعجبك؟»

«انه رائع، بدا متواضعاً وطبيعياً. متعباً وحزيناً ايضاً، مثل وضعك الآن.»

«بلايز كذلك؟» سألت دون ان تنتبه بأن عليها إخفاء إهتمامها به.

سألتها صديقتها بلطف: «جاني، هل تحبينه؟»

«نعم.»

«حسناً، وماذا ستفعلين حيال ذلك؟»

«لا شيء، أحاول الحفاظ على كرامتي.»

«لكن لماذا؟»

«لأن هناك امرأة في حياته، لأنه لا يبادلني نفس الشعور، لأنه لم يقل بأنه آسف على والدي، لأنني ضربته واتهمته بشيء غير صحيح وأشعر بغباء فظيع.»

«إذن الكبرياء يأتي في الدرجة الأولى قبل الحب في رأيك؟»

«مايبل، أنا فقط لا أدري ما أقوم به وما اشعر به، لا أعلم شيئاً، انني مشوشة الفكر.»

«إذن، عليك ان تخرجي نفسك من هذا الحزن.»

«كيف؟»

«أخبريه.»

همست قائلة: «لا أستطيع.»

«لماذا؟»

«لماذا يحبني؟ فأنا بسيطة، نشأت مثل الفتيان. أحب المجادلة، كما أحب أعمال الرجال أكثر من اعمال النساء.»

قالت صديقتها مؤكدة: «جاني، أنت لست بسيطة.»

«مايبل كم انت عزيزة، ولكن لا استطيع مواجهته الآن.»

«أشعر بالذنب لأني اشعر بالسعادة وأنت لا تشعرين بها.»

«لا يمكنك اخفاء ذلك يا مايبل، فانت تشعين من السعادة.»

«انه كلارنس، لست ادري كيف اشكرك. إنه غريب، ربما كان هذا سبب قدومي اليك اليوم. لاشكرك ولأسألك ان تسدي لي خدمة.»

قالت جانبي بحرارة:

«أطلبي.»

«أنا وكلارنس سنتزوج في شهر كانون الأول (ديسمبر).»

«مايبل، هذا موعد قريب جداً.»

«أعلم.»

«هل أنت متأكدة؟»

«بكل ايجابية. أريدك أن تكوني إلى جانبي.»

«أنا؟»

«لقد كنت سبب معرفتنا ببعضنا البعض، ولطالما كنت صديقة رائعة، وأنت الآن صديقة رائعة لكلارنس أيضاً. ستفعلين جاني؟ أرجوك قولي نعم.»

قالت ببطء: «حسناً، نعم.»

«لقد سألناه ان يسدي لنا معروفاً مميزاً»

سألت هامسة: «هل سيكون بلايز موجوداً؟»

اجابت مايبل ببراءة: «بالطبع. سيرافق كلارنس ويكون الشاهد على الزواج. ومن غيره سيكون؟ دون ارشادات بلايز ربما سيحضر الزفاف ببذلة زهرية اللون.»

«لست مستعدة للقاء بلايز.»

«ستكون حفلة الزفاف بعد شهر من الآن، ستستعدين خلالها، أليس كذلك؟»

«لا.»

«إن كنت ما زلت تشعرين بشيء تجاه بلايز بعد شهر، ستحاولين القيام بشيء حيال ذلك، وإن رأيته ولم تشعري بشيء، سترتاحين عندها؟»

«أظنك على صواب.»

أطرقت مفكرة، كم انها وحيدة ومسكينة، ولكن الأمر يستحق المجازفة.

hamasaat

الفصل العاشر

دخلت جاني صالة الفرح تلتف بردائها الأصفر وتبحر أنيال الخيبة وراءها، نظرت حولها فرأته.

كان هناك منتظرا وقد ارتدى سترة سوداء اللون، ولسبب ما بدا أقوى من أي وقت مضى.

تعلقت عيناها بعينيه، للحظة أحست بترحيب ناعم لطيف في عينيه الزرقاوين.

عطس احدهم، فأعاد هذا الصوت إليها رشدها، فأشاحت بوجهها عنه.

أجبرت نفسها على التركيز على كلارنس، كانت عيناه تنظران إلى مايبل، وبدا كرجل غارق في حب عميق.

تقدم بلايز ووقف إلى جانبها ونظراته لا تحيد عن وجهها، الأمر الذي جعلها ترفع برأسها نحو السقف تتأمله.

تبادل كلارنس ومايبل عبارات الوفاء والعهد.

احست جاني بالدموع تترقرق في عينيها فاستدارت لتجففها قبل أن تواجه بلايز.

حاولت جاهدة إظهار ابتسامة مشرقة. فمد يده إليها كي ترافقه.

تقدم نحوها، أمسك بيدها ووضعها تحت ذراعه، فتمنّت ألا يشعر بارتجافها. وأحست كأنها شيء كان قد أهمل لوقت طويل.

ربت على يدها قائلاً: «اقسم بأنك بكيت طوال فترة مراسيم الزفاف.» ثم تابع بهمس: «هل تجدين الأعراس مثيرة للعواطف يا جاني؟ خاصة وأن عرسك قد الغي؟»

اجابت بهدوء: «أرى بأنك ما زلت تمارس الضغط النفسي على قلبك وروحك، في الواقع لا أجد الأعراس مهمة.»

«حقاً، ولكنني شعرت وكأن المناديل الورقية أخذت بالتساقط من السقف لتجففي بها دموعك.»

تمالك نفسه وكف عن السخرية حين مر أمامه كلارنس ومايبل مغادرين.

مر جوناثان امامهم، فلوحت له جاني وأحست ببلايز يتجمد قربها.

«ماذا يفعل هنا؟»

«إنه برفقتي.»

«ماذا؟ لقد أخبرني كلارنس بأن خطبتكما قد فسخت.»

بينما هم يخرجون من القاعة وصلت ميلاني وخرجت من سيارتها.

همس بلايز: «تأخرت كالعادة.»

لوحت ميلاني لبلايز والتقطت له عدة صور.

«تبدو رائعاً يا حبيبي.» قالت ذلك وهي تقترب منه، «لطالما عرفت منك هذه الاطلالة المحببة.»

«هل قابلت جاني ساندستون؟»

«لا أظن بأنني حظيت بهذا الشرف.» قالت ذلك بعذوبة بالغة لتخفي غضبها.

ذكرتها جاني: «لقد تكلمنا مرة على الهاتف.»

مدت ميلاني يدها قائلة: «جميل أن أقابلك.»

«تكلمتما على الهاتف؟ ومتى كان ذلك؟»

قالت ميلاني باقتضاب: «منذ زمن بعيد.»

«من هذا؟» واتجهت النظرات نحو طريدتها الجديدة، نحو جوناثان.

قال بلايز: «خطيب جاني.»

صححت جاني: «صديق.»

تقدم جوناثان نحوهم وقال: «افترض ان علينا القيام بواجبات الأعراس وامورها. لنذهب للتصوير و...» توقف عن الكلام وقد جحظت عيناه على ميلاني، ثم تابع دون حماس منه: «ونرافق العروسين إلى افتتاح طاولة الطعام.»

«جوناثان اعرفك على...» ونظرت إلى بلايز.

أكمل بلايز عنها: «صديقتي.»

ثم تابعت تقديم التعارف: «ميلاني، جوناثان بيترز.»

صحح بلايز قائلاً: «دكتور جوناثان بيترز. لما لا ترافقي الدكتور بيترز بينما أقوم أنا وجاني وأنا بواجبات التهنئة.»

قال جوناثان بحماس: «بكل سرور.»

سألت ميلاني بينما كانا ينطلقان معاً: «طبيب؟»

نظر بلايز إلى جاني، وقال لها بينما كان يفتح باب السيارة لكلارنس ومايبل: «هذا الرجل لن يتزوجك ابداً.»

بدأت التقاط الصور التذكارية، فانزوت جاني في ركن بعيد من الحديقة، لكن هروبها لم يدم طويلاً.

عندما رأته قالت بحدة: «لو سمحت دعني وشأني.»

«لماذا؟»

«لأنك تذكرني بكل احاسيس الاحباط.»

قال معلقاً: «موضوع تعودت عليه؟»

«بلايز أنت تثير جنوني.»

قال بسخرية مفاجئة: «حقاً؟ ولماذا تفترضين ذلك؟ يا جاني الزهرة البرية.»

أغمضت عينيها وتأملت، لطالما رأته في حلمها يقول لها ذلك ويداعب شعرها برقة بالغة.

«هل دفعك يوماً للجنون؟ هل سيطر يوماً على تفكيرك؟ أو حولك إلى فراشه بنظرة منه؟»

«أحاسيسي نحو جوناثان لا حدود لها، ولن تستمر خطبتي طويلاً، ولمعلوماتك، لقد الغيت الزواج بسبب وفاة والدي.»

لقد كانت خدعة بائسة كي تمنع بلايز من اقتحام قلبها من جديد.

فجأة تغيرت لهجته حين قال: «جاني لقد اسفت جداً لذلك، ولم تسنح لي الفرصة لأقول ذلك لك شخصياً.»

كانت نبرة صوته تلك، هي النبرة التي تمنّت سماعها في تلك الليلة.

تمتمت قائلة: «حتى لو لم يكن الأمر شخصياً، لكان قد ساعد.»

«عفوك؟»

«لا بأس.»

سأل بلطف: «هل استطيع ان اضمك؟»

«لا، لقد فات الأوان، احتجتك إلى جانبي ذلك الحين وليس الآن.»

كرّر ما قالته: «احتجت الي في ذلك الحين؟»

«لماذا إذن تظن اتصلت بك؟ فقط لأعلمك بأنني لست آتية للعمل؟» وكرهت نفسها لاخباره بكل هذا.

ثم التفتت اليه وتابعت تقول: «تيقنت بأنه ما كان عليّ أن اتصل، كان خطأ مني اليس كذلك؟ بأن احتاج لرجل مرتبط؟»

«مرتبط؟»

اجابت بينما كان ينظر إليها مرتبكاً: «نعم مرتبط، بصديقتك الرائعة.»

«ميلاني لم تعد صديقتي.»

اتسعت عينا جاني وقالت بدهشة: «لم تعد؟»

هز رأسه نافياً: «متى اتصلت بي، يا جاني؟»

«اتصلت بك يوم وفاة والدي، لقد اعتقدت بأنك ستتفهم الأمر؟ ماذا تريدني أن افعل؟ ان استجديك لذلك؟»

«اتصلت بي، وماذا؟ ألم اكن موجوداً؟ هل كان الخط مشغولاً؟ ماذا؟»

«أجابت ميلاني، وقالت بأنها ستبلغك رسالتي لك.»

تغيّرت ملامح وجهه الى غضب ممزوج بالألم وقال: «ولكنها لم تفعل يا جاني، صدقيني.»

«وإن يكن، ما الذي تريده؟ دعوة شخصية؟ من المؤكد بأن كلارنس أطلعك على الأمر.»

أجاب برقة: «نعم كلارنس أخبرني، وتوجهت إلى منزلك على الفور، وقد شعرت حينها بأنك بحاجة لي.»

قالت بهمس: «أتيت؟ أتيت رغم أنك كنت تريد ميلاني حينها؟»

«لم أكن يوماً اريد ميلاني، افترقنا يوم اكتشفنا أنت وأنا أمر راؤول.»

«كان ذلك نفس يوم وفاة والدي.»

«آه، بدأت الأمور تتوضح، لقد اخبرني كلارنس يوم الاثنين لماذا أنت لست في العمل، فهرعت إلى منزلك. لسوء الحظ، جوناثان كان عند الباب وأذعنت إلى كلامه بدلا من ان اصغي إلى نداء قلبي.»

«أتيت.»

«نعم أتيت.»

في تلك الاثناء صرخ كلارنس: «حسناً، انتما، هيا إلى قاعة الاستقبال.»

سألت مايبل: «هل انتهيتما من الشجار؟»

لم يجب أحد منهما.

«آه.» قالت مايبل وتعلقت بيد زوجها بصدق وانطلاص.

نظرت جاني إلى القاعة، ميلاني وجوناثان جالسا معاً يتكلمان بانسجام مطلق.

ما إن ابتدأ تقديم الطعام حتى سمع قرقعة السطلق على اكواب الشراب.

الجميع طالب العريس بتقبيل العروس، فتبادلا القبل ولم تتوقف عندها القرقعة.

قالت مايبل لجاني: «دورك الآن.»

«عفواً؟» فتبسمت جاني في مقعدها.

«أنت وبلايز.»

«سأختبيء تحت الطاولة.» قالت جاني وهي تبحث عن مكان تهرب إليه.

القرقعة على الاكواب إزدادت، أحست بيده على كتفها نظرت إليه، فصعقت لرؤية الحب الكبير في عينيه.

ببطء سحبت كرسيها ووقفت، أمسك ذقنها بيده، وقبلها. فتعالت عندها الهتافات والصراخ في الصالة.

لقد قبلها امام مئتي شخص، تراجعت إلى الوراء فابتسم لها ابتسامة خبيثة ثم مال بنظره، فلحقت نظراته التي كانت ترمق ميلاني وجوناثان.

غاص قلبها بين ضلوعها، هل كان يغيظ ميلاني؟ وشعرت بأنها ستفقد توازنها، فجلست لتكمل عشاءها.

بعد العشاء كان هناك كلمات وأحاديث تعلو من هنا وهناك، ثم ازيلت الموائد لافساح المجال أمام الرقصة الأولى.

جاني وقفت هناك، فتقدم بلايز ووقف إلى جانبها وقال: «هل اخبرتك كم أنت جميلة؟»

«لا، ولكن شكراً.»

«تعجبينني أكثر بالجينز الأزرق.»

قالت بعصبية: «أظن بأننا قمنا بالواجب كفاية لغاية الآن، وبإمكاننا الانصراف كل في طريقه.»

«أظن ان علينا المشاركة في الرقصة الأولى.»

«آه.»

خففت الأضواء وصدحت في القاعة موسيقى رومانسية رائعة. مد كلارنس ذراعه لمايبل، كانا متلائمين لبعضهما كثيراً، والليلة بديا مثل أمير وأميرة

في الطريقة التي رقصا بها، وكانت دموع الفرح تملأ وجه كلارنس.

قال بلايز بينما مدّ يده إليها: «جاء دورنا.»

ترددت، ثم وافقت كي لا تضايق كلارنس ومايبل.

همس في اذنها: «تزوجيني.»

قالت لا شعورياً بصوت عال، بينما أخذ الناس ينظرون إليها: «ماذا؟» ثم اخفضت صوتها متابعة: «احياناً تكون غير محتمل.»

أرادت ان تصدقه، ولكنها أحست بأن الأمر سيقتلها إن كان مزاحاً.

استدارت تبحث بنظراتها في الغرفة وهي تقول: «أين جوناثان؟ عليّ أن اكون معه، فهو برفقتي.»

سألها: «لماذا لا تتزوجيني؟» بينما تبعها إلى حيث جوناثان وميلاني كانا يجلسان.

«بالكاد نعرف بعضنا البعض.» اجابت، ثم ابتسمت لميلاني قائلة: «حتى انني لا أعلم اسمك بالكامل.»

قالت ميلاني: «كنا نناقش رحلات الأحلام، اسمعي هذا.»

استمعت جاني بأذنيها، ولكن قلبها كان يبعد ملايين الأميال. نظرت بعصبية إلى بلايز، الذي بدا متضايقاً من حديث ميلاني عن الرفييرا وباريس والأزهار والوجبات الشهية.

قال بلايز: «شخصياً، العطلة بالنسبة إلي، هي بندقية وحصان، نار أمام خيمة وشخص اعد النجوم معه.»

ثم سأل جاني بلطف: «ماذا عنك يا جاني؟ باريس أم كيس للنوم في البرية يتسع لاثنين؟»

قالت بحدة: «لست أدري.»

نكّرها بلطف: «انها ليست بالطريقة الملائمة للتعرف بها على الآخرين.»

قال جوناثان: «آه، جاني تحب الخيم ونار المخيم وما إلى ذلك، اتذكرين بأنك دعوتني إلى مخيم لثلاثة ايام، ذات مرة.» ثم استدار إلى ميلاني وتابع: «ثلاثة أيام.»

قالت ميلاني ضاحكة: «ثلاثة ايام دون استحمام؟»

انسحبت جاني من المجموعة وخرجت إلى فسحة في الحديقة، ووقفت صامتة لفترة.

«تزوجيني.»

«طلبت منك أن تدعني وشأني.»

«من ضمن معتقداتي، الالحاح، فأنا لا استسلم حتى أحصل على مرادي.»

حاولت أن تغير الموضوع قائلة: «لا تحب بأن تدعى باسم بلايز، أليس كذلك؟»

«لا، المناقشة في هذا الأمر يأتي في المرحلة الثانية.»

«بالنسبة إلي، ليس هناك لا مرحلة أولى ولا ثانية لمناقشتها، أنت لا تتصرف بعقلانية، اتعلم ذلك؟»

«أجل، أعلم. ليس لدي أي وضع عقلاني منذ شهر ايلول (سبتمبر) الماضي، حين ظهرت فراشة في ورشتي وبدأت ترمي بثقلها علينا.»

«كان من الخطأ أن أعمل لديك.»

«آه يا فتاتي، هيا اخرجي ما في قلبك كي نصفي الأجواء فيما بيننا، ونعيش حياتنا.»

«فقط عملت لديك لأني ظننت بأنك مجرم. حطّمت والدي، ظننتك مجرماً حطم الرجل الذي احبني اكثر من أي انسان آخر.»

«وماذا ايضاً؟»

«اكتشفت بأنني كنت على خطأ.»

«هل أخبرك والدك بذلك؟»

«نعم، ولكن بعد ادراكي لحقيقتك بنفسي بوقت طويل.»

«جاني، عليك أن تعرفي شيئاً عن رجل اردت أن تكرهيه ولم تتمكني.»

تجاهلت الأمر وقالت: «على أية حال، أدين لك باعتذار، والآن قدمته، وأنا آسفة لصفعك تلك الليلة لن اسامح نفسي على ذلك.»

قال بلطف: «أحببت ما فعلته بي.»

قالت غير مصدقة: «ماذا؟»

«ارفعي ذقنك نحو السماء ومدي يديك امامك مثل فتيات العصر الفكتوري.»

«هل تسخر مني؟»

«لا، لقد قبلت اعتذارك.»

قالت باعتزاز: «شكراً.»

ثم عاد يكرّر عليها: «هل تتزوجينني؟»

«لن اتزوجك.»

«لما لا؟»

«قلت لك بالكاد نعرف بعضنا البعض.»

«حسناً، اخبريني بكل شيء تظنين بأن عليّ معرفته، سيستغرق الأمر خمسة عشر دقيقة.»

قالت موضحة: «في الواقع انني معقدة كثيراً وقد تحتاج لاكثر من هذا الوقت.»

قال بلطف: «الجزء المعقد. لقد عرفت كل شيء عنه، الجزء المعقد في الحقيقة هو المتعلق بي، والذي يجعلني استيقظ واسمك على شفتي. الجزء المعقد ايضاً، هو كيف ان رجلاً يتفاعل مع عطر، مع صوت معين. الجزء المعقد ايضاً وايضاً، هو الابتداء بالثقة بأشياء نظن بأننا تخطيناها.»

توقف قليلاً ليتابع بعدها: «تلك هي الأمور المعقدة، لديك خمسة عشر دقيقة لتكملي بقيتها. لونك المفضل، وزهرتك المفضلة وأين درست، وأي نوع من الكلاب تفضلين. لكن، لا تحاولي أن تتكلمي عن الجزء المعقد.»

همست بدهشة: «بلايز ماذا تقول؟»

«هيا يا جاين، انك اذكى امرأة قابلتها، لا داعي لأن اسمي الأمور باسمائها.»

«أجل، عليك ذلك.»

«تباً، جاني تريدين اجباري على البوح بها، أليس كذلك؟»

قالت بهمس: «نعم.»

قالها بكل جوارحه: «أحبك.»

«ضمها إليه وقال: «لا أظن بأن هذا كافياً؟ عليّ ان أذكر كل شيء، حسناً يا سمكة، أحبك لاسباب كثيرة، أحبك رغم أني حاولت تجنب ذلك، لا استطيع نسيان وجهك. أكره الذهاب للعمل صباحاً حين لا تكوني هناك.»

«بلايز.»

«منذ شهور لم اكن اتردد عن لكم جوناثان على وجهه بكل قواي لأنه كذب عليّ، وتجرأ على الوقوف في طريقي. ولكنني هادىء داخلياً واختلف عما ابدو عليه خارجياً. حبك غيرني، اسعدني، جعلني اهتم بالناس وان اجتمع بهم.»

«بلايز.»

«لطالما حلمت بالزواج من امرأة تجيد صنع الحلويات.»

«بلايز.»

«لا، امر واحد بعد، لطالما تعرفت بنساء لم اشعر معهن بهذه الأحاسيس لأنه، تباً يا جاني إنه اصعب أمر اقوم به، وهو الوقوف امامك وقلبي بين يدي، آملاً وراجياً بأنه بشكل ما استحق حبك وتبادلين الحب بحب اكبر.»

قالت بهمس: «أنا كذلك اشعر بكل ما تشعر به.»

«حقاً؟»

أطرقت خجلاً وقالت: «حقاً.»

«إذن، الأسبوع المقبل.»

فقالت بخبث: «السبب الوحيد لكي يتزوج الناس في شهر كانون الأول (ديسمبر) يا بلايز، هو للتهرب من الضرائب.»

«من لقنك هذا الكلام؟»

«أنت من قاله.»

قال متراجعاً: «كنت مخطئا اضيفيه على اللائحة، إن اردت الانتظار احتراماً لذكرى والدك، سأتفهم الوضع.»

قالت بلطف: «شكراً يا بلايز، هذا يعني الكثير، أن تقدم ذلك لذكرى رجل اعلم جيداً أنك لم تكن تقدره كثيراً.»

«آه يا جاني، لم أفكر يوماً بأن والدك رجل سيء، كان انساناً يحاول التصدي للحياة بعناد.»

اجابت: «لا أظن بأن علينا الانتظار، مطلق الاحترام الذي سأقدمه لوالدي هو أن أكون صادقة مع قلبي وروحي.»

«الحب؟»

«نعم، الحب. بدأت معك ببناء منزل، فوجدت بأني عثرت على طريقي نحو منزلي.»

«صغيرتي، مدبرة منزلي، اشتقت إليك كثيراً.»

تمـــت

hamasaaat